# لغز الألف وجه



محمود سالم

# لغز الألف وجه

تأليف
محمود سالم



# لغز الألف وجه

محمود سالم

**الناشر مؤسسة هنداوي**
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
**تليفون:** ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
**البريد الإلكتروني:** hindawi@hindawi.org
**الموقع الإلكتروني:** https://www.hindawi.org



---

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٢٧ ٢

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

# المحتويات

# عملية نظيفة

كانت مفاجأةً كاملةً لـ «لوزة» أن ترى المفتش «سامي» في هذه الساعة المبكِّرة من النهار ... يجتاز باب الحديقة بقوامه الفاره ونظَّارته السوداء ... رأته من النافذة حيث كانت تقف ... فأسرعت تنزل السلالم مسرعةً وهي تنادي شقيقها «عاطف» ... ووصلت إلى الحديقة في نفس الوقت الذي كان المفتش فيه يختار كرسيًّا تحت شجرة الكافور العجوز، وهو مكانه المفضَّل بالقرب من الكشكِ الخشبيِّ في نهاية الحديقة ...

صاحت «لوزة» وهي تجري: يا لها من مفاجأةٍ مُفرِحة يا سيادة المفتش! التفتَ المفتش إليها مُبتسمًا وقال: آسف لحضوري على غير موعد ...

لوزة: إنه منزلك يا سيدي ...

المفتش: شكرًا لكِ أيتها الصديقة العزيزة ...

وتبادلا التحيات ... وقبَّلها المفتش في وجنتَيها كما اعتاد، ثم جلست أمامه وقد لمعت عيناها، وعاد المفتش يبتسم ... لقد أدرك ما تُفكِّر فيه ... إنها بالطبع تتوقَّع أن تكون هناك مغامرةٌ أو لغز يشترك فيه المغامرون الخمسة ...

وأحنَى المفتشُ رأسَه ... كان ردًّا صامتًا على ما تفكِّر فيه، فقالت مبتهجةً: لغز!

المفتش: نعم، لغز ...

لوزة: هذه أولُ مرَّةٍ تُجيب فيها عن السؤال دون أنْ أسأل ...

المفتش: لقد عرَفتُ من نظراتك ...

لوزة: أي نوع من الألغاز يا سيدي المفتش؟

المفتش: لغزٌ بسيطٌ في ظاهره ... غامضٌ جدًّا في باطنه ...

لوزة: هذا نوع الألغاز الذي أفضِّله ...

المفتش: أين بقيةُ المغامرين؟

لوزة: سيحضرون حالًا ...

ولم تكد تنتهي من جملتها حتى ظهر «عاطف» فصاحت به «لوزة»: لغز يا «عاطف» ... لغز ...

تقدَّم «عاطف» يُسلِّم على المفتش وعلى شفتيه ابتسامةٌ واسعةٌ، ثم قال: لقد جاء لكِ اللغز على طبقٍ من الذهب ... جاء حتى باب منزلك ...

المفتش: أكثر من هذا أنني في حاجة إلى مساعدة المغامرين الخمسة ...

قالت «لوزة» مبتهجة: إننا أعوانُك المخلصون يا سيدي المفتش ...

المفتش: شكرًا ... أريد بقيةَ المغامرين حتى لا أكرِّر روايةَ اللغز مرتين ...

عاطف: سأتَّصل بهم تليفونيًّا ...

وكان جهاز التليفون في الكشك الخشبي، فدخل «عاطف» ... وتحدَّث إلى «محب» و«نوسة» ثم إلى «تختخ» ... ثم عاد يجلسُ مع المفتش و«لوزة» ...

قال المفتش: لقد ظهرت نتائج الامتحانات ... فما هي أخباركم؟

لوزة: كالمعتاد ... نجحنا جميعًا بامتياز ... لم يبقَ سوى «تختخ».

المفتش (منزعجًا): ماذا حدَثَ له؟

لوزة: لا شيء ... إن نتيجته تتأخر بضعة أيام ...

ثم قامت «لوزة» قائلة: قهوة يا سيادة المفتش؟

المفتش: إنني في أشدِّ الحاجة إليها ... فقد أيقظوني من نومي في الثانيةِ صباحًا بعد الحادث الذي وقع ... وما زلتُ بلا نومٍ حتى الآن ...

أسرعت «لوزة» لإحضار القهوة ... بينما أخرج المفتش من جيبه مجموعةً من الأوراق أخذ يفحصها ... وجلس «عاطف» يراقبه صامتًا ... وعادت «لوزة» بالقهوة بعد قليل، وجلست بجوار «عاطف» صامتةً ترقب المفتش، ومضت ربع ساعة ... وسمع الثلاثةُ أجراسَ الدراجات ... ثم ظهر «محب» و«نوسة»، وبعدهما بأمتار ظهر «تختخ» وخلفه «زنجر» ...

طوى المفتش أوراقَه، واستقبلَ المغامرين الثلاثة بتَرْحاب ... وبعد أن جلسوا جميعًا، قال المفتش: هناك لغز يحتاج إلى ذكاء المغامرين الخمسة ...

ردَّ «تختخ»: المغامرون الخمسة تحت أمرك يا سيدي المفتش ...

المفتش: شكرًا لكم ... نحن جميعًا في خدمة العدالة ...

وصمَتَ لحظات، ثم قال: هل تعرفون فيلَّا الشيخ «سعيد المختار» التي تقع في الشارع الموازي لهذا الشارع؟

ردَّ «عاطف» على الفور: أعرفها ... فإن ابنه «حسن» من أصدقائي، وهو الآن في بلده السعودية ...

المفتش: لقد وقعت سرقة أمس في هذه الفيلَّا ...

بدا الاهتمام على وجوه الأصدقاء، وتبادلوا النظرات ... ومضى المفتش يقول: في منتصف الليل تمامًا ... دخل لصٌّ إلى الفيلَّا، وسرق مجموعةً من المجوهرات الأثرية النادرة، كان الشيخ «المختار» — وهو سعودي الجنسية كما قال «عاطف» — قد اشتراها من مزادٍ أُقيمَ في «باريس» منذ أيام، وأحضَرَها معه إلى القاهرة ... كان في نيته أن يُودِعها في أحد البنوك هذا الصباح في موعد سفره إلى بلده ... ولكنها سُرقت أمس ...

عاطف: إن أسرة الشيخ «المختار» في السعودية ... سافروا منذ أيام قلائل ...

المفتش: نعم ... كانت الفيلَّا خاليةً إلَّا من خادمٍ عجوز ...

تختخ: وكيف تمَّت السرقة؟

اعتدل المفتش في جلسته وقال: هذا هو السؤال ... لقد فُتِحَ البابُ بمفاتيحَ مقلَّدة، فلم نجدْ أيَّ أثرٍ لاقتحام الأبواب أو النوافذ ... ولا حتى الدولاب الذي كانت به مجموعة المجوهرات النادرة ...

نوسة: كم مجموعةً من المفاتيح للفيلَّا؟

المفتش: مجموعتان كما قال لي الشيخ «المختار»؛ إحداهما معه، والثانية مع أولاده في السعودية ...

نوسة: هل هو متأكِّد أنَّ المجموعة الثانية أخذها الأولاد معهم إلى السعودية حقًّا؟

المفتش: هذا ما سنعرفه اليوم ... فالشيخ «المختار» يطلب الآن السعودية ... تليفونيًّا للتأكُّد من وجود مجموعة المفاتيح الثانية هناك ...

محب: والمجموعة التي معه ... هل كانت معه عندما كان خارج الفيلَّا أثناء العشاء؟

المفتش: نعم ... فعندما عاد للفيلَّا فتح الباب بها ... وعندما دخل وجد الخادمة العجوز مُلقاةً في الصالة، مصابةً بضربةٍ قويةٍ على رأسها ... ومُغمًى عليها ... وقد صعد على الفور إلى غرفة نومه، حيث كان قد أَوْدَع المجوهرات في أحد أدراج الدولاب، فوجد الدولاب مُغلقًا ... وقد اطمأنَّ في البداية، ولكنه عندما فتح الدولاب فُوجئ باختفاء مجموعة المجوهرات ...

محب: أي أنَّ اللصَّ أخذ المجوهرات ثمَّ أغلق الدولاب ...

المفتش: نعم ... من الواضح أنه كان يريد تأخير اكتشاف السرقة أطولَ فترةٍ ممكنة ... فكلَّما تأخَّر اكتشافُ السرقة زادت صعوبةُ تتبُّعِ اللص ...

تختخ: أفهم من إصابة الخادم العجوز أنَّ اللص هاجَمَها؟

المفتش: بالضبط ... وسأرتِّبُ الحوادث على حسب استدعائي للبحث والتحرِّي ... ففي الثانية صباحًا اتصل بي الشاويش «علي» وطلب مني الحضور لاكتشاف سرقة في حدود اختصاصه ... فاتصلتُ برجالي ... ولبست ملابسي، وجئت إلى المعادي، ووصلتُ في حوالي الساعة الثالثة صباحًا ... واستدعَيْنا الإسعافَ حيث تم علاج الخادمة العجوز ... وقد قالت إنَّ الشيخ «المختار» أخبرها أنه سيتعشَّى مع مجموعة من الأصدقاء في نادي الصيد بالدقي، وطلب منها أن تضع الأقفال في جميع أبواب الفيلَّا، عدا الباب الرئيسي؛ لأنه سيُغلقه بالمفتاح ليدخل منه بعد ذلك ...

وصمت المفتش لحظات، ثم مضى يقول: وقالت الخادمة — وتُدعى «محسنة» — إنها بعد أن انتهت من أعمالها المنزلية، قامت بتنفيذ أوامر الشيخ ثم أوت إلى فراشها وهو يقع في غرفة صغيرة في الدَّوْر الأول بجوار المطبخ، وتحت غرفة نوم الشيخ في الدور الثاني ...

عاطف: متى أوت إلى فراشها؟

المفتش: حوالي الساعة العاشرة والنصف ... وقد تركت نورًا خفيفًا مُضاءً في صالة الفيلَّا الرئيسية كالعادة ...

تختخ: ومتى غادر الشيخ الفيلَّا؟

المفتش: حوالي الساعة التاسعة مساءً ...

وسكت المفتش لحظات ثم قال: وتقول «محسنة» إنها لم تستطع النوم ... فقد كان هناك فرَحٌ خلف الفيلَّا، وكانت هناك ضجَّة كبيرة من الموسيقى والمطربين وطلقات الرَّصاص والمدعوِّين، فظلَّت مستيقظةً في فِراشها فترةً طويلة، وعندما بدأت تستسلم للنوم خُيِّل إليها أنها تسمع صوتَ حركةٍ في غرفةِ نوم الشيخ التي تقع كما قلتُ فوق غرفتها مباشرةً، وظنَّت أنه الشيخ، وإن كانت قد شكَّت في ذلك؛ لأنها لم تسمع صوت سيارته، وهو يُودِعُها في الجراج، كما لم تسمعه وهو يدخل الفيلَّا ... وهكذا أسرعت تغادر فراشها وخرجت إلى صالة الفيلَّا ... وفوجئت برجل ينزل على السلالم الداخلية للفيلَّا والتي تقع بجوار باب غرفتها مباشرة ...

وبدا التحفُّز والتوقُّع على وجوه المغامرين الخمسة ... حتى «زنجر» وقفَ واقتربَ أكثرَ من المفتش الذي مضى يقول: وقفت «محسنة» في مكانها وقد احتبس صوتها وأخذت تنظر إلى الرجل وهي ترتجف ... وبسرعة قفز الرجل السلالم الباقية حتى أصبح أمامها، وكان يمسك بطارية ثقيلة هوَى بها على رأسها ...

وساد الصمت لحظات، ثم قال «محب»: معنى هذا أن «محسنة» رأتْ وجهَ الرجل …

المفتش: نعم رأت وجهه … وقد قالت لي إنها رأت هذا الوجه من قبل …

لوزة: وأين اللغز إذن إذا كانت قد رأت الرجل؟ … إنَّ من السهل جدًّا القبضَ عليه …

التفتَ إليها المفتش ونظر إليها بعتاب وقال: لو انتظرتِ قليلًا ربما غيرت رأيك يا «لوزة» … فالخادمة العجوز ضعيفةُ البصر أولًا … ثانيًا: كان الضَّوْءُ في الصالة ضعيفًا، فلم ترَ جيدًا … ثالثًا: قالت إنها متأكدة أنها رأته من قبل … ولكن لا تدري أين ولا متى …

قالت «لوزة» وقد احمرَّ وجهها: آسفة جدًّا … ولكنى خشِيتُ ألَّا يكون هناك لغز …

تختخ: أليست هناك بصمات؟

المفتش: لا … العملية نظيفة تمامًا …

محب: وما هو دور المغامرين الخمسة في العملية؟

المفتش: لقد وصفت «محسنة» الرجل وصفًا لا بأس به برغم كل شيء … وهي متأكِّدة أنها رأته في المعادي بالذات … والمطلوب من المغامرين الخمسة البحث عن رجل متوسط الطول، أسمر البشرة … أسود الشعر … يلبس نظارة طبِّية … وهي أوصاف ليست كافيةً طبعًا … ولكن هذا كل ما عندي من معلومات …

# ثلاث دوائر متصلة

قال المفتش وهو يستعدُّ للانصراف: إنكم تعيشون في المعادي ... وفي نفس المنطقة التي وقعت فيها السرقة واللص — في الأغلب — من هذه الأنحاء ... فأريد أن أرى هِمَّتكم ... إن عددًا من أفضل رجالي يعمل في نفس القضية ... وستكون سِباقًا بينكم وبينهم ... هل من أسئلةٍ أخرى؟

تختخ: البوَّاب ... أليس للفيلَّا بوَّاب؟

عاطف: عم «سيد» البوَّاب ... إني أعرفه ...

المفتش: «سيد» البوَّاب ترك الفيلَّا في العاشرة، وذهب مع بعض أقاربه للتفرُّج على الفرح الذي كان مُقامًا في المنزل المجاور ... لأن بوَّاب المنزل قريبُه، ولم يحضُر «سيد» إلَّا بعد انتهاء الفرح في الثانية والنصف صباحًا ...

ونظر المفتش إلى «تختخ»، وابتسمَ قائلًا: شيء مريب ... أليس كذلك؟

تختخ: من يدري ... وربما كان السؤالُ الأهمُّ هو ... مَن الذي كان يعلم بوجود المجوهرات في المنزل؟ ...

المفتش: سؤالٌ هامٌّ حقًّا، قال لي الشيخ «المختار» ... إنهم مجموعة من أصدقائه من هُواة التُّحف والمجوهرات النادرة مثله، وهم يُكوِّنون شِبْه مجموعة ... وكلهم من الشخصيات البارزة والغنية ... وأهم من هذا كله ... أنهم جميعًا كانوا معه على العشاء والسهرة في نادي الصيد حتى الواحدة صباحًا ... لم يغادرْ أحدٌ منهم مكانه ... ثم التفت المفتش إلى «لوزة» قائلًا: لعلكِ مقتنعة الآن يا «لوزة» أنه لغز وإن كان يبدو بسيطًا إلَّا أنه شديد الغموض ...

لوزة: نعم ... وسوف نفعل ما بوسعنا ...

رفع المفتش أصبعه محذِّرًا، وقال: دون أن تعرِّضوا أنفسَكم لأيِّ خطر ... إنَّ هذا هو شَرْطي الوحيد الذي لا أتنازل عنه ...

وسار الأصدقاء مع المفتش حتى ركب سيارته، ثم حيَّاهم وانطلقت السيارة، وعاد المغامرون إلى مكان اجتماعهم ... ولم يكادوا يجلسون حتى انطلقت «لوزة» تقول في حماسة: عندنا لغز ... الآن، من أين نبدأ؟

عاطف: ما دمتِ سعيدةً جدًّا لهذا الحد ... فلماذا لا تقولين لنا أنتِ من أين نبدأ؟

تدخَّل «تختخ» قبل أن يشتدَّ النقاش بين الشقيقين قائلًا: إنها ليست مهمة «لوزة» وحدها ... ولكنها مهمة المغامرين الخمسة و«زنجر» أيضًا ...

نوسة: إن المعلومات المتوفِّرة عن اللص قليلة جدًّا ... والأوصاف التي أدلت بها «محسنة» يمكن أن تنطبق على بضعة آلاف من الأشخاص ...

تختخ: طبعًا ... ورأيي الشخصي أننا يجب أن نُعيدَ الحديثَ مع «محسنة» مرَّةً أخرى ... فربما بعد أن تُفيق من أثر الصدمة تستطيع أن تتذكر أكثر.

محب: وأنا أرى أن نعيد فحص أقوال البوَّاب ... إن موقفه مريب جدًّا ... يترك مكانه ويذهب للتفرُّج على حفل زفاف في نفس الوقت الذي تتم فيه السرقة ... إنه كلام يُثير الشك ...

نوسة: رأيي الشخصي أن نفكِّر في مسألة المفاتيح ... كيف تمكَّن اللصُّ من الحصول على مجموعة مفاتيح للباب الخارجي ولباب غرفة النوم ... وللدولاب ...

قال «تختخ»: نقطة شديدة الأهمية ... إنَّ عندنا مجموعتين من المفاتيح ... واحدة مع الشيخ «المختار» والأخرى مع أولاده ... فما هي المجموعة التي وصلت إلى اللص حتى يصنع منها مجموعة مقلدة؟

عاطف: إننا لسنا متأكدين حتى الآن أنها مقلدة ... فلعلها المجموعة التي مع الأولاد نسوها في مكان ما، وعثر عليها اللص ...

تختخ: وكيف عرف اللص أنها لهذا المنزل؟ ... الإجابة الوحيدة الممكنة أنه يعرف المنزل وسُكَّانه ...

لوزة: معنى هذا أن اللص ممن يتردَّدون على المنزل؟

تختخ: أظن هذا ... بدليل أن «محسنة» متأكدة أنها رأته من قبل ... فأين ستراه إلَّا في المنزل!

محب: إن هذا يُضيِّق نطاقَ البحث.

تختخ: ليس تمامًا ... فلعله لم يدخل المنزل إلَّا مرَّةً واحدة ...

عاطف: ما رأيك يا «تختخ»؟ ...

تختخ: إنني أفكِّر في شيئين في نفس الوقت ... أولًا: المفاتيح من ناحية ... وحكاية الذين يعرفون بوجود المجوهرات في الفيلَّا من ناحيةٍ أخرى ... ولعلكم تلاحظون أن هناك ارتباطًا ما بين الموضوعين ...

لوزة: ما هو هذا الارتباط؟

تختخ: إن الذي يعرف أن المفاتيح صالحة لفتح الفيلَّا وباب غرفة النوم والدولاب ... هو شخص قريب من الشيخ «المختار»، وكذلك الذي يعرف بوجود المجوهرات ... إنه أيضًا شخص قريب من الشيخ ... وهذا عنصر هام في القضية ...

نوسة: معك كل الحق يا «تختخ» ... بل يمكن أن نُضيف أنه معروف لـ «محسنة»، ومعنى هذا ثالثًا أنه قريب من الشيخ «المختار» ...

تختخ: صح يا «نوسة» ... إنها ثلاث حلقات متصلة، وليس حلقتين فقط.

لوزة: وفي هذه الحلقات الثلاث سوف نبحث ...

تختخ: أعتقد أن هذا هو الطريق الوحيد ...

لوزة: ومن أي حَلْقة نبدأ؟

تختخ: أعتقد أنَّ علينا الآن أن ننطلق لنطوف بفيلَّا الشيخ «المختار» ندرس موقعَها، ونحصل على كل المعلومات الممكنة من الجيران، لعل أحدهم هو اللص ... فالجيران عادة يعرفون كل شيء ...

وانطلق المغامرون الخمسة على دراجاتهم ... كان الشارع الموازي لمنزل «عاطف» من أطول شوارع المعادي ... وفي نهايته كانت فيلَّا الشيخ «المختار» ... وصل إليها الأصدقاء فوقَفوا بعيدًا يرقبون ... كان البوَّاب يجلس أمام الباب يتحدث مع شخص يبدو أنه بوَّاب مثله.

وقالت «نوسة»: تخيَّلوا «سيد» البوَّاب وهو يلبس نظارة ...

محب: ماذا تقصدين يا «نوسة»؟

نوسة: إن بعض أوصاف «محسنة» للصِّ تنطبق عليه، فهو متوسط الطول، أسمر ... شعره أشيب ... كل ما ينقصه هو النظارة الطبية ...

قالت «لوزة» مندفعة: معقول جدًّا ... ما رأيك يا «تختخ»؟

تختخ: ممكن ... ولكن «محسنة» لو رأته لعرفته مهما كان يلبس نظارة على الفور؛ فهي تراه كلَّ يوم ... ولا يمكن أن تُخطئ ...

نوسة: ولكن ببعض التنكُّر الخفيف ... وإذا خلع الجلباب وارتدى بدلة ... أليس من الممكن أن يخدعها؟ ...

تختخ: ممكن ... وسوف نضع هذا في اعتبارنا ...

عاطف: استبعدوا عم «سيد» على مسئوليَّتي، إنه رجلٌ طيبٌ جدًّا ... وكنت كلما ذهبت لزيارة صديقي «حسن» ابن الشيخ «المختار» استقبلني عم «سيد» البوَّاب بالتَّرْحاب ...

هزَّ «محب» رأسه قائلًا: مدهش جدًّا يا «عاطف»، إن هذا تفكير ساذَجٌ جدًّا ... هل يمنع رجلًا يقابلك بالتَّرْحاب أن يكون لصًّا محترفًا وخطيرًا؟ ...

سكت «عاطف»، ونظرت إليه «لوزة» وقالت: وما هي حكاية استبعاده على مسئوليَّتك! هل أنت وزير الداخلية؟! ... حتى الوزير لا يملك هذا الحق ...

عاطف: قصدت أن ...

ولكن قبل أن يُتمَّ جملته قال «تختخ»: أسرع يا «عاطف» ... خلف هذا الرجل الذي كان يتحدث مع البوَّاب ... نريد أن نعرف إلى أين سيذهب ... وما هو عمله بالضبط ... وكان الرجل قد ترك البوَّاب ... وبدأ يبتعد ... فانفصل «عاطف» عن المغامرين، وسار يتبعه بدراجته على مَبْعدة ...

قال «تختخ»: سأقوم أنا و«محب» بالدوران حول الفيلَّا ... وسنحاول الحديث مع البوَّاب ... فانتظرنا هنا ...

وتحركت الدراجتان ... وأخذ «تختخ» يفكِّر وهو يدور حول الفيلَّا في السرقة وملابساتها ... كان الباب الخارجي مُغطًّى بشُجيرات الفل الرقيقة المتكاثفة، بحيث يمكن أن تغطِّيَ أيَّ شخصٍ يقف عندها ... وكانت المسافة المكشوفة بين الباب الحديدي للحديقة وباب الفيلَّا نحو عشرة أمتار ... وفجأة سمع جرس دراجة خلفه ... وصوت سعال لا تُخطئه أذنه ... كان الشاويش «علي» خلفهما بالضبط وسرعان ما سمعاه يقول: ماذا تفعلان هنا؟

توقَّف الصديقان والتفتا إلى الشاويش ... وتوقف الشاويش هو الآخر فوق دراجته وعاد يكرر: ماذا تفعلان هنا؟

قال «محب»: إننا نبحث عن فيل هارب من صاحبه يا شاويش ...

لمعت عينا الشاويش بغضب وقال: فيل ... فيل ... هل تسخر مني؟

محب: أبدًا يا شاويش ... المسألة أنك تسألنا عن سبب وجودنا هنا ... وهو سؤال غريب ... فهذا الشارع ليس ملكًا لك ... ونحن لا نفعل شيئًا مريبًا يمكن أن تسألنا عنه ... فماذا نقول لك؟

الشاويش: تردُّ باحترام …

محب: وهل البحث عن فيل هارب فيه شيء من عدم الاحترام لك؟ …

ازداد وجه الشاويش احتقانًا وهو يصيح: يجب أن تعرف أنَّ في إمكاني القبضَ عليكما.

محب: بتهمة البحث عن الفيل؟

الشاويش: بتهمة اللف والدوران حول مكان جريمة ارتُكبت أمس، إن هذا مثير للشبهات …

محب: إننا لم نسمع عن تعليمات بمنع المرور في هذا المكان يا شاويش …

وقبل أن يُتمَّ «محب» جملته، قال «تختخ»: هل حدثت جريمة هنا يا شاويش حقًّا؟ تردَّد الشاويش ثم قال: ليس هذا من شأنك …

تختخ: ربما كان هذا الشخص الذي كان يجري الآن هو اللص …

الشاويش: رجل يجري … هنا … متى حدث هذا؟

تختخ: منذ دقيقة واحدة … كان رجلًا أسمر متوسط الطول، يلبس نظارةً طبِّيةً، وكان يختفي بين الشجيرات التي تُغطِّي سورَ فيلَّا الشيخ «المختار» …

الشاويش (منفعلًا): وأين ذهب؟ … في أي اتجاه؟

أشار «تختخ» إلى اتجاه «نوسة» و«لوزة» وقال: في هذا الاتجاه يا شاويش … واندفع الشاويش كالصاروخ على دراجته … ونظر «محب» إلى «تختخ» وانفجرا في الضحك … وقال «محب»: سيجد «لوزة» و«نوسة» وأعتقد أنه سيسقط من طوله غضبًا وانفعالًا …

# شيء من الفلسفة

عندما التقى المغامرون في المساء لم تكن هناك معلومة واحدة قد أضيفت إلى ما يعرفون، كل ما حصلوا عليه هو معلومات بسيطة عن الرجل الذي يتبعه «عاطف»، وعرف أنه سمسار شقق مفروشة يعمل في أحد مكاتب السمسرة ...

كان كلٌّ منهم مستغرقًا في خواطره عندما دقَّ جرس التليفون، وكان المتحدِّث هو المفتش «سامي»، وتحدث إلى «تختخ» ... وأخذ «تختخ» يستمع وهو يهزُّ رأسه، ثم قال للمفتش: هل أستطيع الحصول على مجموعة من الصور لأصدقاء الشيخ «المختار» الذين تعشَّوْا معه أمس في نادي الصيد؟ وبعض المعلومات عنهم؟

واستمع «تختخ» لحظات ثم مضى يقول: أعرف أنهم جميعًا بعيدون عن الشبهات، ولكن عندي فكرة ...

وعاد «تختخ» يستمع ثم قال: لم نحصل على معلومات حتى الآن، ولكن بعد مناقشة طويلة أعتقد أننا وضعنا يدنا على بعض مفاتيح اللغز ...

وبعد أن استمع مرَّةً أخرى ... وضع السماعة، ثم التفت إلى الأصدقاء وقال: اتضح أنَّ مجموعةَ المفاتيح الثانية مع أسرة الشيخ «المختار» في السعودية ... وهكذا ازداد اللغز غموضًا ...

محب: ولماذا طلبت من المفتش صورًا ومعلوماتٍ عن أصدقاء الشيخ «المختار»؟

تختخ: إنها كما اتفقنا إحدى الدوائر الثلاث التي سنتمكن عن طريقها من الوصول إلى حل اللغز ... إذا استطعنا ...

نوسة: وهل وعدك المفتش بالحصول على ما طلبت؟

تختخ: نعم ... وإن كان يعتقد أنه مجهود ضائع ...

كانت «لوزة» صامتة تمامًا، فالتفت إليها «تختخ» قائلًا: ماذا حدث يا «لوزة»؟ يبدو عليك الضيق ...

لوزة: إنني أفكر في هذا اللغز فلا أكاد أجد له حلًّا ... وفي نفس الوقت أشعر أنه لا دَوْر لي في هذا الموضوع ...

تختخ: سيأتي دورك في الوقت المناسب ... فلم تمضِ سوى ٢٤ ساعة على الحادث، وهي مدة قصيرة بالنسبة لهذا اللغز ... حتى رجال المباحث لم يهتدوا إلى شيءٍ حتى الآن ... فهم يعملون على طريقتهم في البحث عن المشبوهين من اللصوص الذين تخصَّصوا في سرقة المجوهرات، وكما قال لي المفتش «سامي» الآن إنهم لم يصلوا إلى شيء ...

لوزة: وما هي خطوتنا التالية؟

تختخ: لا شيء حتى نحصل على الصور والمعلومات التي طلبتها ...

لوزة: ألن نقابل «محسنة» ونتحدث معها؟

عاطف: سوف يعود صديقي «حسن» ابن الشيخ «المختار» غدًا من السعودية، وعن طريقه يمكن الحديث إلى «محسنة» ...

تختخ: إذن ... فلنترك كلَّ شيء حتى الغد ...

وتفرَّق الجميع عائدين إلى مساكنهم ... وأخذ «تختخ» يسير ببطء وقد استغرقته الخواطر حول هذه السرقة ... ودار في ذهنه خاطر سريع ... لماذا لا تكون «محسنة» الشغالة هي بطلة هذا كله؟ ... إنها داخل البيت تعرف كلَّ شيء فيه ... وهي ليست في حاجة إلى اقتحام البيت من الخارج ... ولعلَّ هذا يُفسِّر أن الأبواب والأقفال كانت سليمة ... ثم إنها هي الوحيدة التي شاهدت اللص ... وربما ليس هناك لصٌّ على الإطلاق ... إنما هو شخصية من اختراعها حتى تُبعد عنها الشبهات ... خاصةً ادعاءها أنَّ نظرها ضعيف، وأنَّ الضوء كان خافتًا لتُعطيَ أوصافًا ليست محدَّدةً للرجل ... إن ملايين الرجال ينطبق عليهم وصف متوسط القامة ... أشيب الشعر، يلبس نظَّارة ...

وفكَّر «تختخ» وهو يجتاز باب حديقة الفيلَّا ... ألم يَطُفْ هذا الخاطر برأس المفتش «سامي»؟ ربما كان السبب الإصابة التي في رأس «محسنة»، وهذه يمكن تبريرها، ففي إمكانها أن تُحدِثَ الإصابةَ بنفسها ... وفي سبيل ثروة من المجوهرات النادرة، يمكن أن تُحدِثَ في نفسها أيةَ إصابة ... ويمكن تبريرُها بأنَّ لها شريكًا ... هو الذي أحدث الإصابة بها ... وربما ضربها بشدة أكثر من اللازم ... وربما ضربها بشدة وهو يقصد قتلها حتى لا تشيَ به ... ويفوز بكنز المجوهرات وحده ...

كان تفسير السرقة بهذا الأسلوب معقولًا جدًّا … بل إنه أقربُ تفسيرٍ إلى العقل والمنطق … خاصةً إذا كان البوَّاب هو الشريك … فالتبرير الذي قدَّمه عن غيابه تبرير ضعيف …

وجلس «تختخ» على كرسيٍّ في الحديقة، ومضى يقلِّب الأمر على مختلف وجوهه … وفي كل مرَّةٍ كان يزداد اقتناعًا بأنَّ «محسنة» هي أقرب الناس إلى ارتكاب هذه الجريمة … وتمنَّى أن يراها سريعًا … وأن يتعرَّف عليها، ويكوِّن رأيًا عن شخصيتها … وأن يُلقيَ عليها بعض الأسئلة فقد تتناقض في إجاباتها مع الإجابات التي قالتها لرجال الشرطة …

وفكَّر أن يتصلَ بالمفتش «سامي» ويخبره بما فكر فيه … ويطلب منه أن يُعيد استجواب «محسنة» بحضوره … وبعد أن تردَّد بضع دقائق، قام ودخل إلى الفيلَّا، ولكنه وجد والدته تتحدث في التليفون، فصعد إلى غرفته حيث استبدل ثيابه، ثم نزل وأعدَّ لنفسه كوبًا من الشاي، ثم جلس في غرفته يكتب مذكراتِه عن الحادث ويُمعن التفكيرَ فيه … وبعد أن ناقش نفسه طويلًا نزل إلى الصالة وأمسك التليفون واتصل بالمفتش في مكتبه فلم يجده … ثم اتصل به في منزله، وردَّت زوجته قائلةً إنه لم يَعُدْ بعد … فترك اسمه … ورجاها أن يتصل به المفتش عندما يعود … وجلس «تختخ» أمام جهاز التليفزيون يتفرَّج على برامج التليفزيون مع والده ووالدته، ولكن ذهنه كان مشغولًا تمامًا … لقد أصبح مقتنعًا أن «محسنة» هي الفاعلة، فكل التفاصيل خاصةً الأبواب المفتوحة دون عنف كانت تؤيِّد نظريته …

وهكذا … عندما دقَّ جرس التليفون قفز إليه، ورفع السماعة … ولم يكد يسمع صوت المفتش «سامي» حتى قال له: لقد وجدت الفاعل …

المفتش: الفاعل … تقصد لصَّ المجوهرات؟

تختخ: نعم … إنني أشك في «محسنة» الشغالة … إن اللص الذي تحدثت عنه شخصية وهمية … فليس هناك دليل على أنه شخص حقيقي …

وقبل أن يسترسل في حديثه قال المفتش: أُهنِّئك على هذا الاستنتاج البارع.

ابتسم «تختخ» زهوًا، وقال: إن القضية هكذا قد تكون قد حُلَّت ببساطة …

المفتش: أعتقد أنها لم تحلَّ بعد … فقد فكرت نفس الفكرة منذ اللحظة الأولى، ولكن عندي إحساس يا «توفيق» أن هذه السيدة العجوز بريئة …

قال «تختخ» متفلسفًا: ولكن كثيرًا ما يخدعنا الإحساس عن الحقيقة … إننا نتعامل فقط مع الحقائق البارزة … ومع الأدلة … وكل الحقائق والأدلة تشير إليها بأصابع الاتهام …

سكت المفتش قليلًا، ثم قال: لقد أصبحت فيلسوفًا أيضًا يا «تختخ» ... ولكن لعل مئات الحوادث التي اشتركت فيها منذ كنت ضابطًا صغيرًا وحتى الآن جعلت إحساسي شيئًا لا يخيب ... بل كثيرًا ما كان الإحساس أقربَ إلى الصدق من الحقائق الظاهرة ...

أحسَّ «تختخ» ببعض الحرج ثم قال: على كلِّ حال لقد رأيت أن أقول لك رأيي ...

المفتش: طبعًا ... إنني سعيد جدًّا بما سمعت منك ... إنه دليل على قدرتك الفائقة على الاستنتاج وترتيب الأحداث ... ولكن لك عندي مفاجأة ...

تسارعت دقات قلب «تختخ» وقال: عن هذه العملية؟

المفتش: بالطبع ... إن الأوصاف التي أدلت بها «محسنة» عن شخصية اللص تنطبق على أحد الرجال الستة الذين كانوا يعرفون بأمر المجوهرات ...

تختخ: الستة الذين تعشَّوْا مع الشيخ «المختار» في نادي الصيد؟

المفتش: نعم ... واحد منهم يُدعى «كمال رياض»، ويشتغل في الاستيراد والتصدير ... وله مكتب في شارع «قصر النيل» ...

تختخ: وأين يسكن؟

المفتش: المفاجأة الثانية أنه يسكن في المعادي قريبًا من فيلَّا الشيخ «المختار» ...

تختخ: وهو متوسط القامة ... أسود الشعر ... يلبس نظارة طبِّية؟

المفتش: بالضبط ...

تختخ: شيء مدهش للغاية ... يُقرِّبنا من الحقيقة، ويُبعدها عنا في نفس الوقت، ففي الوقت الذي تمت فيه الجريمة كان هذا الشخص يتناول العشاء مع الشيخ «المختار»، وعلى حسب معلوماتنا أنه لم يغادر مكانه مطلقًا من التاسعة حتى الواحدة صباحًا ...

المفتش: هذه هي المشكلة ... كيف يمكن أن يوجد شخص واحد في مكانَين مختلفَين في نفس الوقت؟ ...

تختخ: مشكلة حقًّا غير قابلة للحل ...

المفتش: وهذا ما أريد أن تستخدم عقلك في حله ...

تختخ: أظن لا أحد يستطيع حلَّ مثل هذه المشكلة مهما فكَّر ...

المفتش: إذن أتركك لتنام ... ولعل الأيام القادمة تحمل مفاجآتٍ أخرى ...

وتبادلا تحيةَ المساء ... ووضع «تختخ» السماعة وغرِقَ في تفكيرٍ عميق ... وكلَّما قلب الأمر على وجوهه المختلفة ... وصل إلى نفس النتيجة ... إن «محسنة» هي أقرب شخصيات الحادث كله إلى الاتهام ... ولعلها بالأوصاف التي روتها للشرطة تريد أن تلصق التهمة

بـ «كمال رياض» باعتباره أحد أصدقاء «المختار» ومن الذين يعرفون بوجود المجوهرات بالمنزل …

كان كل ما يحتاج إليه «تختخ» أن يرى «محسنة» عن قرب وأن يتحدَّث إليها، إنه يريد أن يجرِّب إحساسَه هو الآخر ناحيتها … لعله يتفق مع المفتش «سامي» في نفس الإحساس، ولعله يختلف معه … وهكذا ظلَّ يفكر، ووصل إلى نتيجة واحدة … أنَّ عليه أن يرتاح من كلِّ تفكير حتى الصباح … ثم ينتظر وصول «حسن» ابن الشيخ «المختار» من السعودية، ويطلب منه بواسطة «عاطف» أن يُهيِّئَ له فرصة لقاء «محسنة» ومناقشتها دون أن تشعر بأنها متهمة … ثم مراقبتها بعد ذلك … فمن المتوقع بعد أن حصلت على الثروة إما أن تترك العمل عند الشيخ «المختار» بأية حُجَّة … أو تختفي عن الأنظار دون سابق إنذار … إذا أحسَّت أن دائرةَ الاتهام تضيق حولها …

وعندما وصل إلى هذا الحد من التفكير … استلقى على فراشه واستسلم للنوم …

# اختفاء المتهم

عندما ذهب «تختخ» في صباح اليوم التالي إلى حديقة منزل «عاطف» للاجتماع بالأصدقاء، وجد المفتش «سامي» معهم ... ومعه الشاويش «علي» وكان المفتش يضع مظروفًا على المائدة أمامه، وهو يرشف فنجان قهوته في تفكير عميق.

وصاحت «لوزة»: لقد جاء «توفيق» ... والتفت المفتش إليه ... وتبادلا النظرات، ثم قال المفتش وهو يُسلِّم على «تختخ»: لقد تعرَّفت «محسنة» على الأستاذ «كمال رياض» ... قالت إنها برغم الضوء الخافت، وبصرها الضعيف، فإنها تعتقد أن الصورة تطابق إلى حدٍّ بعيدٍ هذا الرجل ...

ومدَّ المفتش يده لـ «تختخ» بالمظروف الأبيض ... فأخذ يُقلِّب الصورة حتى وصل إلى صورة رجل تشبه إلى حدٍّ بعيد الأوصافَ التي قالتها «محسنة» عن اللص ... وأخذ «تختخ» يتأمل الصورة ... كان رجلًا محترمًا بعيدًا عن الشبهات ... فلم تكن له ملامح اللصوص القاسية، وكان يبتسم في وداعة وثقة ...

قال المفتش: ما رأيك في صورته؟ لقد حصلت عليها من منزله!

ردَّ «تختخ» على الفور: ما زلت أظن أن نظريتي أقرب إلى الواقع ...

المفتش: هناك مفاجأة ثالثة في سلسلة المفاجآت ... لقد اختفى الأستاذ «كمال رياض» ...

ساد الصمت بعد هذه الجملة لحظات، وعاد المفتش يقول: وقد قام رجالي بالبحث عنه، ولكنْ لا موظفو مكتبه ... ولا خادمه في المنزل يعرفون أين ذهب ...

قالت «لوزة»: ولكن هل معنى اختفاء إنسان أنه متهم؟

المفتش: في مثل هذه الظروف ... نعم ...

تختخ: ولكن تبقى مشكلة أنه كان موجودًا ساعةَ ارتكاب الجريمة مع الشيخ «المختار» وبقية أصدقائهم ... وما دام يستطيع إثبات وجوده بعيدًا عن مكان الحادث ... فكيف يمكن اتهامه؟ ...

المفتش: معك حق ... إن كل ما يهمني الآن أن أقابله ... إنني أريد أن أواجهه بأقوال «محسنة» وأسمع رده ...

قال «تختخ»: هل أستطيع الاحتفاظ بهذه الصورة؟

المفتش: بالطبع، فعندنا نسخ أخرى منها ... وسوف يتابع الشاويش «علي» حضور الأستاذ «كمال رياض» ...

تختخ: ألم تسأل الشيخ «المختار» عن رأيه في الأستاذ «كمال رياض»؟

المفتش: طبعًا ... وقد جئت اليوم خصوصًا لهذا الغرض ... لأن الشيخ متعب قليلًا، وقد عرضت عليه الصورة فأكَّد أنها للأستاذ «كمال»، ولكنه أكَّد في نفس الوقت أنه ليس اللص، فقد حدث ليلتها أن اتصل «كمال رياض» بالشيخ «المختار»، وطلب منه أن يمرَّ عليه لأخذه في سيارته؛ لأن سيارة الأستاذ «كمال» كانت في الإصلاح ... ويقول الشيخ إنه مرَّ عليه في المنزل، وأخذه معه إلى نادي الصيد حيث كان العشاء، ثم أعاده معه إلى البيت ...

تختخ: إن هذا ينفي تمامًا صلة «كمال رياض» بالحادث ...

المفتش: شيء مُحيِّر ... بين شهادة «محسنة» ووقائع الحادث ...

وقام المفتش واقفًا وقال: بالمناسبة، علمت أنَّ الشيخ «المختار» كان قد أمَّن على المجوهرات بمبلغ مائة ألف جنيه لدى إحدى شركات التأمين ...

لمعت عينا «تختخ» وقال: مؤمَّن عليها ...

المفتش: نعم ... والأستاذ «كمال رياض» هو الذي نصحه بالتأمين عليها ...

وانصرف المفتش، وودعه الأصدقاء، ثم جلسوا يتحدثون ... وشرح «تختخ» للمغامرين نظريته في اتهام «محسنة» بتدبير الحادث ... وبعد أن أوضح استنتاجاته حول هذه المسألة وافق الجميع عدا «عاطف» الذي قال: إن الست «محسنة» لا يمكن أن ترتكب حادثًا من هذا القبيل ... إنها سيدة طيبة ...

قال «تختخ»: إن المفتش مع رأيك بالضبط ...

عاطف: على كل حال ... لقد حضر «حسن» ابن الشيخ «المختار» من السعودية، وسأمرُّ عليه هذا المساء، ونذهب لدخول السيرك ...

تختخ: أريد أن أقابل «محسنة» ...

عاطف: من الممكن أن يتمَّ هذا الآن ...

تختخ: عظيم ... هيَّا اطلب «حسن» تليفونيًّا ...

وأمسك «عاطف» بسماعة التليفون وطلب «حسن»، وبعد لحظات كان «تختخ» و«عاطف» و«لوزة» — التي أصرَّت على الذهاب معهما — في الطريق إلى فيلَّا الشيخ «المختار» في نهاية الشارع الموازي لمنزل «عاطف» ...

استقبلهم «حسن» في الحديقة ... كان يلبس الجلابية البيضاء، ويضع على رأسه «الغترة» كعادة السعوديين، وقام «عاطف» بواجب التعريف بين «حسن» و«تختخ» و«لوزة»، وجلس الجميع في ظل شجرة وارفة الظل ... وأخذوا يتحدثون في شتى المسائل، ثم تحدثوا عن السرقة ... وقال «حسن»: إن والده حزين لضياع المجوهرات ليس لقيمتها المادية فقط، ولكن لقيمتها التاريخية أصلًا.

قال «تختخ»: إننا — كما تعرف — مجموعة من المغامرين تهوى حل الألغاز، وتخاطر من أجل العدالة ...

حسن: عرفت هذا من صديقي «عاطف»، وأتمنى أن أشترك معكم في حل أحد الألغاز أو الدخول في مغامرة ...

تختخ: هذه فرصتك يا عزيزي «حسن»، فنحن مشغولون بقضية سرقة المجوهرات من والدك، ونتمنى أن تشترك معنا في حلها ...

حسن: أرجو ذلك ... وإن كان وقتي ضيقًا لأن والدي استأجر فيلَّا أخرى في مدينة المهندسين، وسوف نغادر المعادي خلال أسبوع ...

قال «تختخ» مندهشًا: هل معنى هذا أنكم لا تملكون هذه الفيلَّا؟

حسن: لا ... إننا نستأجرها فقط ...

تختخ: منذ متى؟

حسن: منذ سبعة شهور تقريبًا ...

تختخ: شيء مدهش ...

لوزة: ما هو المدهش يا «تختخ»؟

تختخ: لا شيء ... إنه مجرد خاطر كان قد خطر لي ...

عاطف: «حسن» ... أرجو أن تناديَ الست «محسنة»؛ فإن «تختخ» يريد أن يتحدث إليها ...

حسن: سأدعوها ومعها أكواب شراب اللوز إذا لم يكن عندكم مانع ...

تختخ: إنني أحبه جدًّا ...

قام «حسن» فدخل الفيلَّا ... وقال «عاطف»: إنه ولد ظريف جدًّا، أليس كذلك؟

تختخ: فعلًا ... ويعجبني منظره في الملابس الوطنية للسعوديين ...

لوزة: ماذا لفت نظرك في أن الفيلَّا مُؤجَّرة وليست مِلْكَ الشيخ «المختار»؟

تختخ: إنني ...

ولكن قبل أن يُتمَّ جملته، ظهر «حسن» وخلفه «محسنة»، واتجهت أنظار الثلاثة إليها، وأخذ «تختخ» يتأملها ... سيدة عجوز في الخامسة والخمسين تقريبًا ... قصيرة، بيضاء، تبدو عليها الطيبة ...

ووصل الاثنان إلى حيث كان يجلس المغامرون الثلاثة ... ووضعت «محسنة» الصينية التي كانت تحملها ... فقال «عاطف»: كيف حالك يا خالة «محسنة»؟

ردَّت «محسنة» وهي تُخفي بعض وجهها بطرحتها كعادة الريفيات: الحمد لله يا بني ... كل ما يأتي به الله خير ...

عاطف: هل شُفيت إصابتك؟

محسنة: إنها أحسن الآن ... ربنا ينتقم من المجرم ... مدَّ «تختخ» يده بالصورة إلى «عاطف» الذي ناولها لـ «محسنة»، وسألها: هل أنت متأكدة أن هذا هو الفاعل؟

أمسكت «محسنة» بالصورة وارتعدت يدها قليلًا وهي تُقرِّبها من عينيها، وقالت: الله أعلم يا بني ... ولكن إذا سُئلتُ يومَ القيامة فسأقول ما أقوله الآن ... إنه يشبهه تمامًا ...

سألها «تختخ»: ألم تتذكري بعدُ أين رأيتِ هذا الرجل؟

أخذت «محسنة» تتأمل الصورة طويلًا، ثم قالت: الله أعلم ... ولكن أظنُّ أنني رأيته هنا في هذا البيت، ولعله حضر بعض المآدب التي يُقيمها الشيخ «المختار» هنا ... نظر «عاطف» إلى «تختخ»، فأشار له «تختخ» بأنه اكتفى بما سأل وسمع، ولاحظ «حسن» الإشارة فقال لـ «محسنة»: تفضَّلي أنتِ يا ست «محسنة» ... وسلَّمتْ «محسنة» الصورةَ إلى «تختخ» ومضت ...

وقال «تختخ»: أريد أن أرى البوَّاب ...

وقام «حسن» باستدعاء «سيد» البوَّاب، الذي حضر مسرعًا، وبيده عصًا ضخمة يدقُّ بها الأرض ... وسلَّم على الجالسين، فناوله «تختخ» الصورة وقال: هل رأيتَ هذا الرجل من قبل يا عم «سيد»؟

أمسك «سيد» بالصورة وقال على الفور: طبعًا يا أستاذ ... إنه يسكن قريبًا من هنا ... إنه الأستاذ «كمال رياض»، وأنا أعرفه منذ أكثر من سنتين ...

تختخ: هل تقصد أنك عرفته عن قرب؟

ردَّ البوَّاب: بالطبع يا أستاذ ... لقد كان يسكن هذه الفيلَّا منذ سنتين ... وقضى فيها بضعة شهور، ثم غادرها إلى المنزل الذي يُقيم به الآن ...

ساد الصمت بعد حديث البوَّاب ... وأخذ الجميع ينظرون إليه في اهتمام ... وكان «تختخ» أكثرهم اهتمامًا ...

قال «تختخ»: شكرًا يا عم «سيد» ...

ردَّ عم «سيد»: الشكر لله يا أستاذ ...

ولم يكد «سيد» يتحرك من مكانه حتى قال «تختخ»: إن الأدلة كلَّها الآن تُشير إلى الأستاذ «كمال رياض» ...

لوزة: كيف؟

تختخ: لقد كان يمكنه وهو ساكن في الفيلَّا أن يصنع مجموعة ثالثة من المفاتيح ... وربما بقيت معه حتى الآن ... وربما استخدمها في الدخول ... ولكن المشكلة التي بلا حل ... أنه كان بعيدًا عن مكان الحادث تمامًا ...

# الرجل «ذو الألف وجه»

توالت المفاجآت على «تختخ» في المساء ... فقد اتصل به المفتش «سامي» تليفونيًّا، وقال له: إن الأستاذ «كمال رياض» قد ظهر ... وإنه كان بالإسكندرية في رحلة عمل ...

وقال المفتش: لقد واجهت الأستاذ «كمال رياض» بشهادة «محسنة»؛ فثار ثورةً عنيفةً، وأكَّد أنه كان منذ الساعة التاسعة مساء الحادث حتى الواحدة صباحًا في حفل العشاء بنادي الصيد ... وقد اضطُررتُ إلى الاعتذار له ... خاصةً وقد شهد جميع أصدقائه أنه لم يغادر النادي ولو دقيقة واحدة ... بل إنه كان متألِّمًا من ضرسه، وجلس ساكنًا أغلب الوقت ...

قال «تختخ»: لم يبقَ أمامنا إلَّا «محسنة» ...

المفتش: ما رأيك فيها؟

تختخ: إنني أشاركك الإحساس أنها سيدة طيبة، وأنها لا يمكن أن تُقْدِمَ على السرقة إلَّا ...

المفتش: إلَّا ماذا؟

تختخ: إلَّا تحت ضغط أو تهديد ...

المفتش: إنني أستبعد أن يكون في حياتها ما يُمكن تهديدُها به ...

تختخ: بالمناسبة ... لقد علمت هذا الصباح أن الأستاذ «كمال رياض» كان يسكن في فيلَّا الشيخ «المختار» منذ عامين ... وهذا يعني أنه كان يستطيع الاحتفاظ بمجموعة من مفاتيح الفيلَّا ...

قال المفتش بانفعال: للأسف ... إن أي دليل ضد الأستاذ «كمال رياض» ليس له قيمة فقد أثبت بما لا يدع أيَّ مجال للشك أنه كان بعيدًا عن مكان الحادث وقت وقوعه ... ولم يعد في استطاعتي قانونًا أن أتعرَّض له ...

تختخ: إذن لم يعد أمامنا ما نفعله سوى مزيد من البحث والتحريات ...

المفتش: بالضبط ... وقد وضعنا كمائن في مختلف أنحاء الأماكن التي تبيع وتشتري المجوهرات كما أبلغت المطار والموانئ بمواصفاتها ...

انتهت المكالمة ... ولم يكد «تختخ» يضع السماعة حتى دقَّ جرس التليفون مرَّةً أخرى ... وفي هذه المرَّة كانت «لوزة» هي التي تتحدث ... وكانت كعادتها كلما عثرت على شيء تتحمس بشدة ... فقد كانت تقول باندفاع: «تختخ»، لقد عثرنا على لص المجوهرات ...

سكت «تختخ» قليلًا وهو لا يُصدِّق أذنيه ... ثم قال: هكذا مرَّة واحدة ...

لوزة: نعم ...

تختخ: من الذي عثر عليه؟ وكيف؟ وأين؟ وهل أنتِ متأكِّدة؟ ...

لوزة: بالطبع يا «تختخ» ... أنا متأكدة، وقد عثرنا عليه أنا و«عاطف» و«حسن» فقد اتفقنا على الذَّهاب إلى السيرك ... وأنا أتحدث من محل بجوار السيرك ... وعندما وصلنا وشاهدنا الإعلانات كانت المفاجأة ...

تختخ: هل عثرتم على اللص في الإعلانات؟

لوزة: نعم ... إنه يُدعى الرجل «ذو الألف وجه» ... وهو يقوم ببعض الألعاب في السيرك معتمدًا على التنكُّر ... ولكن الصورة المعلقة له على باب السيرك تنطبق أوصافها تمامًا على لصِّ المجوهرات كما وصفته «محسنة»، وكما شاهدناه في الصورة ...

قال «تختخ»: وما هو موعد الدخول؟

لوزة: بعد نصف ساعة ... أي في الثامنة ...

تختخ: احجزي لي تذكرةً معكم ... إنني قادم فورًا ... وأخذ «تختخ» يلبس ثيابه بسرعة ... وذهنه يدور ... هل يمكن أن يكون رجل السيرك هو اللص؟ ...

وبعد دقائقَ قليلة، كان يقفز إلى دراجته وينطلق ... وحاول «زنجر» أن يلحق به، ولكنه طلب منه العودة ...

كان السيرك ينصب خيمته في الساحة الواسعة عند استاد المعادي كالعادة ... وعندما اقترب «تختخ» من مكانه سمع الموسيقى النحاسية ترتفع ... وعدد كبير من الناس في الطريق إليه ... وعندما وصل إلى منتصف المسافة في الساحة سمع صوت «عاطف» يناديه ... فاتجه إليه ... وسلَّم على «حسن» و«لوزة» ... واتجه الأربعة إلى إعلانات السيرك المعلقة، وبسرعة أشارت «لوزة» إلى صورة معلقة لم يكد «تختخ» يراها حتى دار رأسه ... إنه نفس الرجل الذي رأى صورته ... نفس الرجل الذي وصفته «محسنة» ...

قال «عاطف»: ما رأيك؟

تختخ: إنه في الحقيقة صورة طبق الأصل من الأستاذ «كمال رياض» كما رأيته في الصورة، وما دام الأستاذ «كمال» كان بعيدًا عن مكان الحادث ... ففي الأغلب أنَّ هذا الرجل هو اللص إذا كانت «محسنة» قد أصدَقَتْنا القول ...

حسن: إنه يقوم بعدة أدوار تنكُّرية بارعة ... ويستطيع أن يقلِّد أيَّ شخصية بإتقان مدهش ... لقد شاهدتُه من قبل ...

كان «تختخ» يفكر فيما ينبغي عملُه ... وكان الحلُّ الوحيدُ هو الاتصال بالمفتش «سامي» فورًا وإخطاره بما حدث ... فقال لـ «لوزة»: أين التليفون الذي تحدثت منه؟

أشارت «لوزة» إلى محل قريب وقالت: من هذا المحل ...

تختخ: سأذهب للحديث مع المفتش «سامي» وإخطاره بما حدث ... فانتظروني هنا ... وأسرع «تختخ» إلى التليفون وطلب المفتش «سامي»، ولكنه لم يجده لا في منزله ولا في مكتبه ... ووقف يفكِّر فيما ينبغي عمله بعد هذا ... وكان الحل الوحيد هو الانتظار حتى الغد ...

وهكذا أسرع إلى الأصدقاء، فلم تبقَ سوى دقائقَ قليلةٍ على بَدْء العرض ... ولم يكد «تختخ» يصل إلى حيث يقف أصدقاؤه حتى كانت في انتظاره مفاجأة ... فقد شاهد الشاويش «علي» يقترب منهم على درَّاجته ... وقفزت إلى ذهن «تختخ» فكرة ... و... لماذا لا يُخطِر الشاويش؟ ... إنه الرجل المسئول عن الأمن في هذه المنطقة ... ولم يتردَّد، فقد أسرع ينادي الشاويش الذي تقدَّم منهم وعلى وجهه علامات الشك كالعادة ...

قال «تختخ»: مساء الخير يا شاويش «علي» ... أريد أن أريك شيئًا ...

الشاويش: أي شيء؟

قال «تختخ» مشيرًا إلى لوحة الإعلانات: هل رأيت هذا الرجل من قبل؟

تطلَّع الشاويش إلى لوحة الإعلانات حيث أشار «تختخ» ... وفتح فمه في دهشةٍ بالغةٍ، ثم قال: اللص ...

تختخ: إنه يشبهه تمامًا يا شاويش ...

الشاويش: بالطبع ... بل إنه هو ... لا بُدَّ من القبض عليه ...

تختخ: لا أدري ما هي الإجراءات القانونية يا شاويش ... ولكنى أنصح بأن نتأكد أولًا؛ فلسنا ندري إذا كانت هذه صورته الحقيقية أم إحدى الشخصيات التي يتقمَّصُها ... وقد يكون الرجل بريئًا ...

الشاويش: وماذا ستفعلون أنتم؟ ولماذا جئتم إلى هنا؟

تختخ: بالصدفة يا شاويش ... حضرنا لمشاهدة عرض السيرك ... ولاحظنا الشبه الكبير بين هذه الصورة وبين الأستاذ «كمال رياض» ...

الشاويش: لقد جئتُ بناءً على بلاغ من شخص بوجود مشاجرة في مكان قريب، وسأذهب لفضِّ المشاجرة وأعود فورًا ...

تختخ: سنكون داخل السيرك إذا احتجتَ إلى أية معونة ...

وتحرك الشاويش مبتعدًا بسرعة، واتجه الأصدقاء الأربعة إلى خيمة السيرك، وسرعان ما كانوا في قلب الضجَّة التي تُحدِثها الموسيقى ... وفي جوِّ الألوان والحديث والأغنيات ... بدأ العرض بمجموعة من الخيول البيضاء الجميلة تجري في حلبة السيرك المستديرة، وفوقها بهلوان يقفز من حصان لآخر ... ويعيد تشكيل مجموعة الخيول مثنى وثلاث ورباع ...

وخرجت مجموعة الخيول يتبعها تصفيق حاد من جمهور المشاهدين ... ثم بدأ عرض المهرِّج الذي أخذ يقفز، ويتطوح في الهواء ... ويقدم بعض العروض التي انتزعت الضحكات من المتفرِّجين ... وتتوالى العروض ... ثم وقف مقدِّم البرامج مُمسكًا الميكروفون وقال: والآن يَسرُّنا أن نقدِّم لكم نجم التنكُّر العالمي «سمير» الذي يستطيع أن يتنكَّر ويغيِّر وجهه ألف مرَّة دون أن يتعرَّف عليه أحد ... وسيقدِّم لكم «سمير» هذه الليلة عشر شخصيات مختلفة ...

ودقَّت الموسيقى ... وظهر من جانب المسرح ولد يركب دراجة بطريقة مضحكة ... كان الولد يلبس «شورت» أزرق وقميصًا أصفر، ويضع على رأسه قبعة حمراء ...

وقالت «لوزة»: أين «سمير» نجم التنكُّر؟

ردَّ «تختخ»: إنه هذا الولد راكب الدراجة ...

لوزة: غير ممكن ...

تختخ: على كلِّ حالٍ ...

ولكن قبل أن يُتمَّ جملته، صاح صيحةً خافتةً، ثم أشار إلى مكان في الصالة وقال: هذا هو الشاويش «علي»، لقد حضر سريعًا ... وسنشهد الليلةَ تطوراتٍ خطيرةً في قضية المجوهرات، وقد تنتهي بالقبض على اللص ...

قال «عاطف» بطريقته الساخرة: وهل تظنُّ أن الشاويش يمكن أن يُنهيَ قضيةً بهذه السرعة ... إنه سوف يرتكب خطأً ما ... وسوف تتأخر قضية المجوهرات بدلًا من أن تتقدم ... لم يعلِّق أحد من الأصدقاء على ما قاله «عاطف»، وإن أحسوا جميعًا بالخوف من أن يتضح أنهم على خطأ، وأنه ليس هناك عَلاقة بين نجم التنكُّر «سمير» وبين القضية ...

وقرَّر «تختخ» أن يحاول تنبيه الشاويش إلى عدم القبض على «سمير» الآن حتى يمكن مراقبته فترة من الوقت أولًا …

أخذ «تختخ» يشير إلى الشاويش … والشاويش ينظر إليه في ضيق ويُشوِّح بذراعيه معلنًا عدمَ فَهْمه لما يقول «تختخ» … وأحسَّ «تختخ» أن لا أمل في إفهام الشاويش … فمضى يتفرَّج على بقية العرض حتى انتهى … ثم بدأ انصرافُ المتفرِّجين … وأخذ «تختخ» ينظر إلى الشاويش فلم يجده في مكانه … ولم يكن في إمكانه الإسراع في زحام الخروج … وأخيرًا بعد نحو ربع ساعة استطاع أن يصل إلى المكان الذي كان الشاويش يقف فيه وأخذ يتلفت حوله … ولم يكن هناك أثر للشاويش …

التفت «تختخ» إلى أصدقائه قائلًا: انتظروني أمام باب السيرك … وسوف أبحث عن الشاويش لأرى ماذا فعل …

وخرج الأصدقاء، ونظر «تختخ» حوله ثم اتجه إلى كواليس السيرك حيث غرف اللاعبين والممثلين …

# وجهًا لوجه مع الأسد

أخذ «تختخ» يجري باحثًا عن الشاويش ... ولمَّا لم يجده أخذ ينادي عليه ... وسمع صوت الشاويش يأتي من أحد الدهاليز، فاتجه إليه ... ووجده يقف أمام غرفة من غرف الممثلين ... توقَّف «تختخ» وأنفاسه تتسارع، وقال بصوت متقطع: هل عثرت عليه؟

قال الشاويش: لا ... فقد حضرت إلى الغرفة فوجدت سيدة عجوزًا تجلس وحدها، فلما سألتها عن النجم «سمير» قالت لي إنه سيعود بعد لحظات ... وهو لم يَعُدْ بعد وأنا في انتظاره ...

تختخ: هل كانت السيدة تلبس فستانًا أحمر من طراز القرن الماضي، وشعرها أصفر؟

ردَّ الشاويش مندهشًا: نعم ... كيف عرفت؟

تختخ: لأن هذه السيدة العجوز ليست سوى الممثل «سمير» الذي جئتَ للقبض عليه ...

فتح الشاويش فمه في دهشة وقال: السيدة العجوز هي «سمير»! ولكن ...

تختخ: لا تُضيِّعْ وقتًا أطول يا شاويش ... إنَّ آخِر نمرة قدَّمها نجم التنكُّر «سمير» كان في ثياب سيدة من القرن الماضي ...

عضَّ الشاويش طرف شاربه وقال: إنني لم أحضر آخر نمرة قدَّمها، وأتيت وأخذت أبحث عن غرفته حتى وجدتها ...

تختخ: هيَّا بنا ... إنه في ملابس التنكُّر هذه لن يبتعدَ طويلًا ...

وخرجا من الغرفة، وأخذا يسألان كلَّ من يقابلهما عن السيدة ذات الملابس الحمراء ... بعضهم تذكَّر أنها مرت بهم ... وقالوا جميعًا إنها اتجهت إلى آخر السيرك حيث توجد الحيوانات ...

أخذ الشاويش يجري وخلفه «تختخ»، ووصلا إلى أقفاص الأسود التي انطلقت تزأر بأصوات كانت تهز المكان ... وأحس «تختخ» ببعض الخوف وهو قريب جدًّا من هذه

الحيوانات المتوحشة ... ثم اتجها إلى مكان الفيل ... ثم إلى حظيرة الكلاب ... ولم يكن هناك أثر للسيدة ... وعادا مرَّةً أخرى من نفس الطريق ... وما كادا يصلان إلى أقفاص الأسود مرَّةً أخرى حتى سمع «تختخ» صوتَ حركة باب يُفتح ... والتفت فإذا بباب قفص أحد الأسود مفتوح ... وإذا بالأسد يدور دورة داخل قفصه ثم يخطو إلى خارج القفص ...

لم يكن بين «تختخ» وبين الأسد سوى ثلاثةِ أمتار ... والتقت عيناه بعينَي الأسد الذهبيَّتَين ... وأحسَّ بأطرافه تتجمد وبالشلل يسري إلى جسدِه كلِّه ... كانت عينا الأسد كأنما رُكِّبَ فيهما مغناطيس يشدُّه دون أن يتمكن من المقاومة ... ولم يستطع أن ينطقَ بحرف، وأخذ الأسد يتلفَّت حوله ثم قفز إلى الأرض ... وفي هذه اللحظة أدرك «تختخ» أنه سيصبح فريسةً للأسد في خلال ثوانٍ قليلة ... واستجمع قواه ليجريَ وسمع الشاويش من خلفه يصيح به: «توفيق» ... «توفيق» ...

والتفت إلى الشاويش فوجده واقفًا يُحدِّق في الأسد، وجرى «تختخ» وجذب الشاويش معه ... وأخذا يجريان وهما يصيحان معًا: الأسد ... الأسد ...

ارتفعت الأصوات من كل مكان ... وبدأت حالة من الذعر في الكواليس ... وكان الأسد يسير هادئًا في البداية، ولكن الأصوات المرتفعة أزعجته. فأخذ يجري، ووقع «تختخ» على الأرض ... فقد تعلَّقت قدمه بحبل في الطريق ... وأحسَّ بقدمه تلتوي وبألم هائل يسري في جسمه كله ... ثم أحسَّ بأقدام الأسد تقترب منه ... وبرائحته القوية تملأ أنفه ... وأغمضَ عينيه لحظات، ثم فتحهما وأطلَّ إلى الخلف ... ووجد الأسد يقترب منه سريعًا ... وفي هذه اللحظة سمع طرقعةً قوية، وشاهد مُدرِّب الأسود يمسك بسوطه ويصيح في وجه الأسد: «كنج» ... «كنج» ... ارجع ... ارجع ...

وتوقَّف الأسد مكانه ... وكان المدرِّب يحمل في يده اليمنى سوطًا، وفي اليسرى مُسدَّسًا ... أخذ يهزُّ رأسه الضخم لحظات، ثم بدأ يتراجع أمام طرقعة السوط ... وفي هذه اللحظة ظهر «حسن» و«لوزة» و«عاطف» ... وكانوا قد سمعوا الضجَّة التي ارتفعت بعد خروج الأسد من قفصه ... ولم تكد «لوزة» و«عاطف» و«حسن» يرون «تختخ» مُلقًى على الأرض ... والأسد على بُعد خطوات منه ... حتى اندفعوا جميعًا إليه غير عابئين بالخطر ... وألقت «لوزة» نفسها على «تختخ» وهي تبكي، ولكن «تختخ» طمأنها قائلًا: إنني على ما يُرام ... لقد التوت قدمي فقط، ولا شيء آخر ...

وساعده الثلاثة على القيام ... ونظر «تختخ» حوله فلم يجد الشاويش «علي»، وأدرك أنه قد نشط إلى البحث عن «سمير» ... وكان الأسد قد تراجع تمامًا ... وأخذت طرقعات السوط تخفت تدريجيًّا ...

كانت قدم «تختخ» تؤلمه، ولكنه كان قادرًا على السير مستندًا إلى الأصدقاء حتى خرج من السيرك ... وتحامل على نفسه وركب دراجته، واتجهوا جميعًا إلى منزل «نوسة» و«محب» اللذين تخلَّفا عن الحضور للسيرك لارتباطهما بمواعيدَ سابقة مع بعض أقاربهم ...

وعندما جلسوا جميعًا، قالت «نوسة» مُوجِّهةً الحديثَ إلى «تختخ»: ماذا جرى؟ ... إنك تبدو شاحبًا بعض الشيء ...

ردَّت «لوزة»: لقد هاجمه أسد ...

صاحت «نوسة» مُرْتاعةً: أسد! ...

قال «عاطف»: نعم، أسد حقيقي ... ولكن يبدو أن الأسود لا تحب اللحم السمين ... لهذا رفض السبع أكل «تختخ» ...

لوزة: ما هذا الهزار السخيف يا «عاطف» ...

عاطف: أليس هذا ما حدث بالضبط؟ ... لقد كان الأسد على بُعد أقل من مترين وكان في إمكانه بقفزة واحدة أن ينقضَّ على «تختخ» ... فلماذا لم يأكله؟ ...

نوسة: إنكم تتحدثون كأنَّ المسألة حقيقية ...

لوزة: طبعًا ... طبعًا ... لقد دخلت ورأيت الأسد يقترب من «تختخ» وهو مُلقًى على الأرض ... وللحظة ظننت أن لا أمل في إنقاذ «تختخ» من مخالبه ... وأنيابه ... ولكن الله سلَّم ...

محب: إنكم تتحدثون بالألغاز ... لقد ذهب «عاطف» و«لوزة» و«حسن» للسيرك، فماذا حدث؟ ولماذا ذهب «تختخ» إلى هناك؟

أخذت «لوزة» تروي ما حدث منذ لحظة وصولهم إلى السيرك ومشاهدتهم لصورة الممثل «سمير» الذي يُشبه لِصَّ المجوهرات ... وكيف اتصلت ﺑ «تختخ»، ووصول الشاويش ...

وتوقَّفت «لوزة» عند هذه النقطة، وأخذ «تختخ» يُكمل ما جرى منذ دخولهم السيرك حتى هروب السيدة ذات الثياب الحمراء ... والصوت الذي سمعه عند قفص الأسود والباب الذي انفتح ... وخروج الأسد ... حتى إنقاذه ...

وعندما انتهى «تختخ» من روايته قال «محب»: معنى ذلك أنَّ الرجل ذا الألف وجه قد هرب؟ ...

تختخ: نعم ... وهذا بالطبع يثبت أنه ليس بريئًا ... وإلَّا فلماذا هرب عندما شاهد الشاويش وعرف أنه يسأل عنه؟

نوسة: ومن الذي فتح باب قفص الأسد؟

تختخ: إنه نفس الرجل «سمير»، فقد هرب واختبأ خلف الأقفاص، وعندما وجدنا نطارده حاول التخلُّص منا بإطلاق الأسد علينا ... ثم انتهز فرصة انشغالنا بمواجهة الأسد ... وهرب ...

محب: إن الرجل الذي يصل إلى حدِّ القتل في محاولته للهرب مجرم عريق ... وأعتقد أننا يجب أن نتصل بالمفتش «سامي» فورًا ...

تختخ: لقد اتصلت به قبل دخول السيرك، وتركت له خبرًا ...

محب: لنحاول مرَّةً أخرى ...

قام «تختخ» بالاتصال بالمفتش «سامي». كانت الساعة قد أشرفت على العاشرة مساءً ... ولم يكد الجرس يدقُّ على الطرف الآخر حتى سمع «تختخ» صوت المفتش يرد ...

قال «تختخ»: لقد اتصلت بك منذ نحو ساعتين ونصف ...

المفتش: لقد دخلت الآن حالًا إلى المنزل ... وكنت سأتصل بك ... هل ثمة جديد في القضية؟ ...

تختخ: نعم ... مفاجأة كاملة ... لقد عثرنا على لص المجوهرات ... أو هذا على الأقل ما أعتقده ...

سكت المفتش لحظات ثم قال: كيف؟ ومتى؟ وأين؟

وأخذ «تختخ» يروي للمفتش «سامي» ما حدث في السيرك ... والمفتش يستمع باهتمام ويقاطعه بين لحظة وأخرى بالأسئلة ... وبعد أن انتهى «تختخ» من رواية كل القصة وبكل التفاصيل، قال المفتش: سأذهب فورًا إلى السيرك ...

تختخ: هل أذهب لانتظارك هناك؟

المفتش: لا ... الوقت متأخِّر الآن ... وإذا جدَّ جديدٌ فسوف أتصل بكم ... المهم الآن أن تهتمَّ بقدمك الملتوية ... وأنصحك بأن تَعرِض نفسك على طبيب.

تختخ: شكرًا ... لا أعتقد أن المسألة تحتاج إلى طبيب ... وسأكتفي بوضعها في الماء الساخن ... وإذا لم تتحسن حتى الصباح، فسأعرض نفسي على أحد الأطباء ...

المفتش: سأتصل للاطمئنان عليك غدًا ...

انتهت المكالمة ... وقال «تختخ»: لقد فعلنا ما بوسعنا ... والدور الآن على رجال الشرطة ...

لوزة: للأسف أنْ ينتهيَ هذا اللغز بهذه السرعة ...

تختخ: من يدري ... إن القبض على الرجل ذي الألف وجه ليس مسألةً سهلة ... وفي نفس الوقت قد يؤدي القبض عليه إلى تطورات هامة في القضية ...

لوزة: ألا تعتقد أنه اللص؟

تختخ: ليس مهمًّا ما أعتقده ... والمهم الآن هو القبض عليه ... فإذا لم يكن هو اللص ... ففي الأغلب أنَّ له عَلاقةً بسرقة المجوهرات ...

نوسة: إن هذا كلام غامض يا «تختخ» ...

ردَّ «تختخ» وهو يقوم من مكانه مستندًا إلى ذراع محب: معك حق ... ولكن فكروا قليلًا، إنني أعتقد أنَّ الأمور سوف تكشف عن حقائقَ مذهلةٍ إذا قبضوا على الرجل ...

# النتيجة صفر!

استيقظ «تختخ» في صباح اليوم التالي ... فحرك قدمه حركةً خفيفةً ... فوجد أنَّ الألم الفظيع الذي كان يحسُّ به أمس قد خفَّ إلى حدٍّ ما ... وحمِدَ الله ... وغادر فراشه ببطء، وبعد أن اغتسل وتناول الإفطار، أخذ طريقه مشيًا ببطء إلى منزل «عاطف» وخلفه «زنجر» ووجد «محب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة» و«حسن» قد سبقوه إلى الحديقة حيث اعتادوا أن يجتمعوا ... فلما رأوه ماشيًا على قدميه قال «عاطف»: ألم أقل لكم ... إنه قوي كالحصان ...

لوزة: يا له من تشبيه!

وقبل أن تُتمَّ جملتها قال «تختخ»: إن الحصان من أجمل الحيوانات وأكثرها وفاءً، ولست أعترض مطلقًا على هذه الصفة ... المهم ...

ولكن هذه الجملة لم تكتمل أيضًا، فقد دقَّ جرسُ التليفون، ورفعت «لوزة» السمَّاعة ... وعلى الطرف الآخر كان المفتش «سامي» يتحدَّث ... وبعد أن تبادلت التحية مع المفتش سلَّمت السماعة إلى «تختخ»، وقال المفتش: صباح الخير ... كيف حالك؟

تختخ: على ما يرام ... ألم خفيف في مفصل القدم ...

المفتش: الحمد لله ... الأخبار يمكن اعتبارها طيبةً وسيئةً في نفس الوقت ... طيبة لأنه من المؤكد أن نجم التنكُّر «سمير» هو اللص، فقد استطعنا معرفة اسمه الأصلي وكشفنا عن سوابقه، فاتضح أنه لص عريق أُدين في عدة سرقات ... وعندنا مجموعة صور له ... وإن كانت لا تشبه تمامًا الصورة المعلقة له أمام السيرك، إنما تكوين الوجه لا يتغير ... فله بعض صور بشارب، وأخرى بلحية، وثالثة بشعر كثيف، ورابعة بلا شعر على الإطلاق ... إنه متخصص في التنكُّر حقًّا ... وقد استطاع تزييف أوراق إثبات الشخصية، والتحق بالسيرك منذ نحو سنة ...

تختخ: وهل يسكن في المعادي؟

المفتش: إنه بلا مسكن محدد … فأحيانًا ينام في السيرك، وأحيانًا ينام في فندق … ونحن الآن نطارده في كل مكان، ولن يستطيع الإفلات منَّا …

تختخ: أرجو ذلك، وإن كنت أظن أن قدرته على التنكُّر ستساعده على الإفلات على الأقل لفترة طويلة …

قال المفتش ضاحكًا: إنَّ لنا طرقنا في تتبع هؤلاء اللصوص … خاصة وهو الآن بلا أوراق … ولن يكون من السهل عليه تزييف بطاقة شخصية في وقت قصير …

تختخ: أتمنى لكم التوفيق …

وتبادلا التحية، وأغلق «تختخ» السماعة ثم التفت إلى الأصدقاء قائلًا: أصبحت المسألةُ مسألَةَ وقتٍ، فرجال الشرطة منتشرون في كل مكان يحتمل أن يتردَّد عليه اللص … وأعتقد أنهم سيصلون إليه خلال ساعات …

لوزة: للأسف إن اللغز انتهى دون مجهود من جانبنا …

تختخ: كيف؟ … إنكِ أَوَّلُ مَن اكتشف حقيقة اللصِّ عندما شاهدتِ صورتَه أمام السيرك … ولولا ذلك لما توصَّل رجال الشرطة إلى شيء …

حسن: أكثر من هذا كانوا سيتهمون رجلًا بريئًا؛ الأستاذ «كمال رياض».

محب: فعلًا … لقد كان ذلك خطأً شنيعًا …

تختخ: لم يكن أمام رجال الشرطة احتمال آخر … فالأوصاف التي أدلت بها «محسنة» كانت تنطبق على الأستاذ «كمال» تمام الانطباق … ولولا أنه كان بعيدًا عن مكان الحادث بمسافة بعيدة ومعه عدد من أصدقائه بينهم الشيخ «المختار» نفسه، لما استطاع أن يُبرِّئَ نفسَه …

كانت «نوسة» ساكتة طول الوقت تستمع، ثم قالت فجأة: ولكن هناك شيء لم يُحَلَّ … هو كيف حصل الرجل ذو الألف وجه على مفاتيح الفيلَّا؟

تختخ: إن البحث عن إجابة لهذا السؤال قبل القبض على اللص مستحيل … وهناك مَثَلٌ يقول: «إنك لا تستطيع أكل البطة قبل اصطيادها.» إن القبض على الرجل ذي الألف وجه سيُجيب عن أسئلةٍ كثيرة … منها كيف عرف بأمر المجوهرات، ومكانها …

عادت «نوسة» إلى الصمت مرَّةً أخرى، فقال عاطف: بما أننا الآن ليس لدينا ما يشغلنا، فلماذا لا نذهب في نزهة إلى النيل؟ إن «حسن» سيُغادرنا بعد أسبوع، ونحن نريد أن نحتفيَ به …

تختخ: إنني موافق على أن تقوموا بهذه النزهة اللطيفة ... ولكني أعتذر عنها؛ فسوف أكون عبئًا عليكم بقدمي الموجوعة ... وكان «تختخ» قد عاد يحسُّ بالألم في قدمه بعد المجهود الذي بذله في المشي من منزله إلى منزل «عاطف» ... وفعلًا عندما حاول أن يقوم عاوده الألم ... واضطُرَّ «محب» إلى أن يذهب معه إلى المنزل، بينما ذهب بقية المغامرين مع «حسن» إلى النيل ...

أمضى «تختخ» الأيام الثلاثة التالية في فراشه بأمر الطبيب، الذي حضر وكشف على القدم التي تورمت، وربطها برباط ضاغط وطلب منه الراحة ... وفي الفراش أخذ «تختخ» يفكِّر في الرجل ذي الألف وجه ... وكيف استطاع أن يختفيَ تمامًا عن أعين رجال الشرطة ... فقد كان «تختخ» دائمَ الاتصال بالمفتش «سامي» الذي بدأ يفقد صبره وتفاؤله ...

كان من الصعب الاستنتاج حول مكان الرجل ... فهو يستطيع أن يتنكَّرَ في أي شكل من الأشكال؛ شاب ... عجوز ... امرأة ... مشلول ... أعمى ... وعشرات من المشاهد يمكن أن يصطنعَها ويختفيَ خلفها ... وكان المفتش «سامي» يركِّز جهودَه على الأماكن التي يتردَّد عليها المشبوهون واللصوص في وسط المدينة وفي منطقة شارع «كلوت بك» وما حوله ... ومحلات بيع المجوهرات ... فقد يقوم اللصُّ تحت ضغط الحاجة إلى محاولة بيع المجوهرات النادرة ...

ولكن برغم الجهود المكثفة التي بذلها المفتش ورجاله فلم يعثر له على أثر ...

وعقد المغامرون الخمسة اجتماعًا للمناقشة ... وأخذ كل منهم يُدلي برأيه في طريقة الاختفاء التي يمكن أن يلجأ إليها هذا اللص ... وفجأة قالت «لوزة»: هناك سؤال خطر ببالي أمس ... لقد اتهمنا الممثل «سمير»؛ لأنه هرب بعد أن قابل الشاويش «علي» وعرَفَ أنه يسأل عنه ... أليس من الممكن أن يكون «سمير» هذا قد هرب باعتباره لصًّا معروفًا للشرطة دون أن يكون له صلة بحادث سرقة المجوهرات؟ ...

نظر المغامرون إليها في دهشة ... كانت وجهة نظر ممكنة ... فتشابُه وجهِ الممثل «سمير» مع وجه لص المجوهرات لا يعني أنه هو اللص ... فقد سبق اتهام الأستاذ «كمال رياض»، ثم اتضح بعد ذلك براءته؛ لبعده عن مكان الحادث ...

قال «تختخ» مُعلِّقًا: معكِ كلُّ الحق يا «لوزة» ... لقد اندفعنا إلى اتهام الممثل «سمير» بسرقة المجوهرات لمجرد أنه هرب عندما عرَفَ أنَّ الشاويش يسأل عنه ... والحقيقة أن علينا أن نعرف شيئًا واحدًا يحسم الموضوع ...

قالت «نوسة»: ما هو هذا الشيء يا «تختخ»؟

ردَّ «تختخ»: علينا أن نعرفَ ... هل تغيَّب «سمير» عن عمله في السيرك ليلة السرقة أو لا؟ ... وفي أي وقت تغيَّب؟ لقد وقعت السرقة عند منتصف الليل بالضبط كما قالت الشغالة «محسنة»، فهل كان «سمير» في هذا الوقت موجودًا بالسيرك أو لا؟ ... إذا ثبت أنه كان موجودًا بالسيرك في ذلك الوقت فإن هذا ينفي عنه الشبهات ...

عاطف: وهذا يعني أننا ندور في حَلْقة مُفْرَغة ... فكلُّ من نشك فيه يثبت أنه كان بعيدًا عن مكان الحادث ... ولا يبقى بعد ذلك إلَّا أن نتهم «محسنة» كما كانت فكرة «تختخ» أولًا ...

تختخ: الحقيقة أنها أقرب المتهمين إلى مكان سرقة المجوهرات ... فهي وحيدة داخل المنزل، والأبواب لم تُغتصَب ... ولكني عندما رأيتها أحسستُ أنها بريئة ... فمنظرها لا يدلُّ على أنها من الممكن أن تقوم بهذا العمل ...

محب: ولكنك قلت إن مشاعرنا كثيرًا ما تخدعنا، وإن عمل الشرطة يقوم على القرائن والأدلة وليس على العواطف والمشاعر ...

ساد الصمت ... وبدَّدتْه «لوزة» قائلةً: إذن فلنذهب إلى السيرك، ونبحث عن إجابة هذا السؤال ... هل كان «سمير» موجودًا في السيرك تلك الليلة عند منتصف الليل أو لا؟ ...

محب: سأقوم أنا بهذه المهمة ...

عاطف: سأذهب معك ...

تختخ: اذهبا معًا ... وسننتظر عودتكما ...

وجلس الباقون يتحدثون، ودقَّ جرس التليفون، وكان المتحدث هو «حسن» ابن الشيخ «المختار» ... وقال لهم إنه يدعوهم جميعًا للعشاء في الفيلَّا هذا المساء ...

رحَّب المغامرون بالدعوة، خاصةً «تختخ» الذي كان يريد أن يُلقيَ نظرةً على الفيلَّا من الداخل ... ويرى الإضاءة الخافتة التي تمَّت فيها السرقة، وشاهدت فيها «محسنة» لصَّ المجوهرات ...

وانصرفت «لوزة» و«نوسة»، وتركتا «تختخ» وحده في حديقة الفيلَّا، كان يجلس ساهمًا مُفكِّرًا ... ومضت فترة من الوقت ثم دقَّ جرس التليفون بجواره، وكان المتحدث «محب»، وقال بصوت منفعل: اسمع يا «تختخ»، أخبار غريبة جدًّا من السيرك ...

تختخ: ماذا حدث بالضبط؟

محب: الممثل «سمير» لم يغادر السيرك ليلة الحادث مطلقًا ...

تختخ: من الذي قال لك هذا الكلام؟

محب: كل العاملين بالسيرك ... فقد مرض «سمير» ليلتها ولم يقدِّم عروضَ التنكُّر التي اعتاد أن يقدِّمها ... وبقيَ في غرفته طول الليل، ولم يغادر السيرك ...

سكت «تختخ» وقد أحسَّ بالبرودة تسري في أوصاله ... لقد أُغلق آخر طريق إلى لص المجوهرات ... ولم يعد أمامهم متَّهم على الإطلاق ... المتهم الأول «كمال رياض» كان بعيدًا بعشرات الكيلومترات عن مكان الحادث ... المتهم الثاني «محسنة» بعيدة عن الشبهات ... المتَّهَم الثالث «سمير» كان مريضًا ليلة الحادث ولم يغادر السيرك ... إذن ليس هناك سوى احتمالٍ واحد ... أنَّ الجواهر لم تُسرَق ... أو أنَّ اللصَّ شبحٌ من الأشباح ...

وقال «تختخ» لـ «محب»: سنلتقي الليلةَ على مائدةِ العشاء عند «حسن» في الثامنة ...

# ١ – ١ = ١٠٠١

في الثامنة كان حسن في استقبال الأصدقاء عند السُّلَّمِ الخارجيِّ للفيلَّا ... ثم دخلوا جميعًا إلى الصالة الواسعة ... حيث شوهد اللصُّ وهو ينزل السلالم ليلةَ سرقة المجوهرات، وطلب «تختخ» من «حسن» أن يُطفئَ الأنوار ويضيء اللمبة الصغيرة التي شاهدت على ضوئها «محسنة» وجه اللص ... وقام «حسن» بتنفيذ ما طلبه «تختخ»، وقامت «نوسة» بتمثيل دور «محسنة» فوقفت عند نهاية السُّلَّم ... بينما قام «محب» بتمثيل دور اللص وهو ينزل السلالم ... ووقف الباقون يتفرَّجون على المشهد التمثيلي.

وسأل «تختخ» «نوسة»: إنك بالطبع تعرفين وجه محب جيدًا، ولكن لنتصور أنه شخص آخر فهل هذا الضوء — ومع ملاحظة أن نظر «محسنة» ضعيف — يمكن أن تقتفي ملامحَ الرجل على هذه المسافة؟

نوسة: بالتأكيد ... فالضوء كافٍ جدًّا ... إلَّا إذا كانت «محسنة» ضعيفة البصر جدًّا.

أعيدت الأضواء إلى ما كانت عليه ... وفي هذه اللحظة ظهر الشيخ «المختار» وتقدَّم من المغامرين الذين أقبلوا يسلِّمون عليه.

وقال «تختخ»: إننا آسفون جميعًا لحادث السرقة.

ردَّ الشيخ «المختار»: هذه إرادة الله ... والحمد لله أنَّ السيدة العجوز «محسنة» لم تُصَب بشيء أكثر.

قال «تختخ» متسائلًا: بالمناسبة يا عم الشيخ ... ألم تشكَّ لحظةً واحدةً أنَّ الرجل الذي كان يركب معك السيارة — أقصد الأستاذ «كمال رياض» — مختلفٌ ولو قليلًا عن عادته؟

فكَّر الشيخ «المختار» لحظةً ثم قال: لا أدري بماذا أجيبك بالضبط ... ولكن عندما مرَرْتُ عليه في المنزل لآخذه معي في سيارتي وجدته ينتظر عند باب الفيلَّا الخارجي حيث

يسكن ... ولم يكن الضوء في الشارع يسمح لي أن أتبين ملامحه جيدًا ... خاصةً أنه كان يضع منديلًا على فمه.

ولمعت عينا «تختخ» وقال: منديل على فمه ... ولكن لماذا؟

الشيخ «المختار»: كما قلت للمفتِّش «سامي» من قبل، إن الأستاذ «كمال» كان يعاني ليلتها من ألم في أسنانه ... وقد اقترحت عليه أن يبقى في المنزل ولا يذهب للعشاء ما دام متألمًا، ولكنه رفض وأصرَّ على الحضور.

تختخ: أليست لك ملاحظات أخرى؟

ضحك الشيخ «المختار» وقال: إنها ملاحظة قد تكون سخيفة ... ولكن المعروف بيننا أن الأستاذ «كمال» ثرثار، يتحدث كثيرًا ... ولكنه في تلك الليلة اختار مكانًا منزويًا، وبعيدًا عن الأضواء، وجلس صامتًا ... وبرغم أنَّنا تحدَّثنا في موضوعاتٍ يحبُّ هو الحديثَ فيها، إلَّا أنه لم يتكلم مطلقًا ...

سكت «تختخ» لحظات ثم قال: شكرًا لك يا سيدي، لقد أوضحت أشياءَ في غاية الأهمية.

الشيخ: دعكم من التفكير في هذا الموضوع، وإلَّا أفسدتم شهيتكم للعشاء؟

وانتقلوا جميعًا إلى مائدة العشاء ... ولكن «تختخ» ظلَّ صامتًا، كان يمضغ الطعام وكأنه آلة وليس إنسانًا، ثم قال فجأة موجِّهًا الحديثَ إلى «محب»: عندما سألت عن الممثل «سمير» في السيرك ... وقالوا إنه كان مريضًا ولم يغادر السيرك ليلتها؛ لأنه مريض ... بأي شيءٍ كان مريضًا؟

ردَّ «محب»: قالوا إنَّ أسنانَه كانت تؤلمه؟

نهض «تختخ» واقفًا وقال: أسنانه ... أسنانه ... تقول أسنانه؟

ذهل جميع الحاضرين، وردَّ «محب» نعم أسنانه ... ماذا في هذا؟ ...

تختخ: أريد التليفون يا «حسن» فورًا ...

حسن: إنه موجود في الصالة ...

تختخ: هل خرج والدك؟

حسن: لا ... إنه في غرفة المكتب يقوم بعمل بعض الحسابات ...

أسرع «تختخ» إلى الصالة وأدار رقم المفتش «سامي» وهو يرجو أن يجدَه في مكتبه ... ودقَّ قلبه سريعًا عندما سمع صوت المفتش «سامي» على الطرف الآخر يرد، فقال «تختخ»: مساء الخير يا سيادة المفتش ... هل قبضتم على الرجل؟

قال المفتِّش بضيق: لا ... لو قبضنا عليه لأخطرتك ...

تختخ: إنني أعرف مكان الرجل!

المفتش (في انفعال): تعرف مكانه ... ماذا تنتظر إذن؟!

تختخ: إنني أعرفه على سبيل الاستنتاج ... وقد أكون مُخطئًا ...

المفتش: ليس مهمًّا ... قل لي وسنجرِّب ...

تختخ: إنه مختبئ في منزل الأستاذ «كمال رياض»، أرجو أن تُرسلَ قوَّةً لتقبضَ على من تجده في المنزل ...

المفتش: كلامٌ غريبٌ يا «تختخ». ما الذي يدور في رأسك؟

تختخ: تدور فيه أفكار خرافية ... إننا نتعشَّى في فيلَّا الشيخ «المختار» وبينها وبين منزل الأستاذ «كمال رياض» بضع خطوات، فمتى يصل رجالك إلى المنزل؟

المفتش: بعد نصف ساعة ...

تختخ: سأكون هناك ...

المفتش: لم تقل لي كيف وصلت إلى هذا الاستنتاج ...

تختخ: اسمح لي أن أشرح لك هذا بعد أن نتقابل هناك ...

المفتش: اتفقنا ... وإلى اللقاء ...

وضع «تختخ» سماعة التليفون، ثم عاد إلى مائدة العشاء، وما زال مُمْعِنًا في التفكير حتى قالت «لوزة»: من المؤكد أنك قد توصَّلت إلى شيء ما ...

ردَّ «تختخ» في غموض: قد أكون ... وقد لا أكون، المهم ألا تتركوا «محسنة» تغادر المكان ...

وانتهى العشاء، و«تختخ» ينظر إلى ساعته بين لحظة وأخرى، ثم قام قائلًا: أرجو أن تتمتعوا بالسهرة، وسأتغيَّب عنكم نحو ساعة ثم أعود ...

وخرج «تختخ» إلى الليل البارد المنعش فتنفَّس بعمق ... وكانت فكرة تحديد شخص اللص قد اختمرت في رأسه ... وكانت فيما يعتقد هي الفكرة الوحيدة التي يمكن أن تُفسِّر الغموض الذي أحاط بسرقة المجوهرات ...

ووصل إلى قرب فيلَّا «كمال رياض» كما حدَّدها له الشيخ «المختار»، ولم يكد يقف لحظة واحدة حتى برز شبح من الظلام اقترب منه قائلًا: ماذا تفعل هنا؟

كان صوت الشاويش «علي»، فردَّ «تختخ» على سؤاله بسؤال: ماذا تفعل أنت هنا يا شاويش؟

ردَّ الشاويش بعنف، ولكن بصوت خافت: لقد طلب مني المفتش «سامي» أن أقف هنا وأمنع أيَّ شخصٍ من مغادرة هذه الفيلَّا …

تختخ: وهل غادر أي شخص هذه الفيلَّا؟

الشاويش (بغضب): ليس هذا عملك … إنكم دائمًا تتدخلون في عملي وإنني …

ولكنه لم يُتمَّ جملته، فقد ظهر في أول الشارع شبحُ سيارةٍ سوداءَ طويلة … خلفها سيارة من سيارات النجدة … ووقفت السيارتان أمام الفيلَّا … ونزل المفتش «سامي» وبعض رجاله، وأسرع الشاويش إليه وخلفه «تختخ»، وقال الشاويش: يا حضرة المفتش، هذا الولد …

المفتش: دعِ الأستاذ «توفيق» وشأنه …

ثم التفت إلى «تختخ» قائلًا: تعالَ يا «توفيق» …

ووقف جانبًا، وقال المفتش: والآن ما هي فكرتك؟

وأخذ «تختخ» يتحدث بضعَ دقائقَ متصلة بصوت هامس، فقال المفتش: مدهش جدًّا … رائع، فكرة عبقرية …

ثم التفت إلى رجاله ووزَّعهم حول الفيلَّا، واستدعى اثنين من الضباط، ثم دخل من باب الفيلَّا الخارجي، ولم يكن هناك بوَّاب، ثم سار الجميع حتى باب الفيلَّا ذاتها، ودقَّ المفتش الجرس ومضت لحظات، ثم فُتح الباب وعلى عتبته ظهر رجل … قد يكون «كمال رياض»، وقد يكون الممثل «سمير»، فسأله المفتش: من أنت؟

ردَّ الرجل في صوت مرتجف: أنا «كمال رياض» صاحب محل …

وقبل أن يُتِمَّ جملتَه ضغط «تختخ» على ذراع المفتش، فقال المفتش: أنت لست «كمال رياض» … لم يردَّ الرجل، فدفع المفتش الباب، ودخل والرجل يتراجع أمامه، وقال المفتش: أنت «نوفل أبو إسماعيل» لص الخزائن … وصاحب السوابق … والممثل التنكُّري «سمير»، ولص مجوهرات الشيخ «المختار» …

انهار الرجل على الفور … وشحب وجهه وتسارعت أنفاسه، وصاح مستعطفًا: أنا مظلوم يا سيدي المفتش … مظلوم …

المفتش: أين «كمال رياض»؟

الرجل: لقد خرج منذ الصباح، وسيعود في العاشرة …

التفت المفتش إلى أحد الضباط قائلًا: أبعِدوا السيارتين عن الباب … واختبئوا بحيث لا يراكم الرجل عندما يعود …

وأغلق المفتش الباب خلفه ثم قال لـ «نوفل»: والآن، أين المجوهرات؟ …

ردَّ الرجل: أقسم لك يا سيدي المفتش إنني بريء … إنني لم أسرق مجوهرات ولا عَلاقةَ لي بهذا الموضوع …

المفتش: أين كنت إذن ليلة الجمعة الماضية؟

تردَّد الرجل، وأخذ ينظر حوله بعينين زائغتين، فقال له المفتش: سأقول لك أنا … كنت تتعشَّى في نادي الصيد مع الشيخ «المختار» وبعض أصدقائه …

فتح الرجل فمه في ذهول … فقال المفتش: كنت تقوم بدور صديقك «كمال رياض» … أليس هذا ما حدث؟ رُدَّ بسرعة …

قال الرجل مستسلمًا: هذا صحيح يا سيدي المفتش … ولكني لم أسرق المجوهرات، ولا دخل لي بها … إنني بريء، ولم أكن أعلم أن «كمال» سيسرقها …

المفتش: احكِ لنا كلَّ ما حدث ليلتها … وما هي عَلاقتُك بـ «كمال رياض»؟

أخذ الرجل يروي القصة: التقيت بـ «كمال رياض» منذ عشر سنوات تقريبًا … وقد حدث هذا بالصدفة، ولاحظنا التشابه الشديد الذي بيننا، وأصبحنا أصدقاء، وكان يُكلِّفُني أحيانًا أن أقوم بدوره في أحد الأماكن … أو في إحدى الصفقات … وفي يوم الخميس الماضي طلبني تليفونيًّا لأحضُرَ إلى منزله فحضرت … وطلب مني أن أستعدَّ ليلةَ الجمعة لتناولِ العشاء مع بعض أصدقائه على أنني هو … وقدَّم لي ملابس سهرة من عنده، وأخبرني أنَّ الشيخ «المختار» سيمرُّ بسيارته ليأخذني معه، وقد طلب مني أن أتظاهر بأنني أتألَّم من أسناني، وألَّا أتكلم مُطلقًا … فالفارق الوحيد بيني وبينه هو الصوت …

هزَّ المفتش رأسه، ونظر إلى «تختخ» بإعجاب، وقال: يا لك من ولد داهية … ثم التفت إلى «نوفل»، وقال له: أكمل …

نوفل: وتظاهرتُ في السيرك بأنني مريض بأسناني … ووضعتُ أحدَ الأقنعة على المخدة في سريري، ووضعت بعض الثياب وعليها الغطاء وكأني نائم … ثم جئت إلى منزل «كمال»، ولبست ملابس السهرة، وانتظرت حتى حضر الشيخ «المختار» ونزلتُ إليه وأنا أضع منديلًا على فمي متظاهرًا بالألم … وذهبت معه إلى النادي، وأخذت مكانًا مظلمًا جلست فيه زيادةً في الحَيْطة … وظلِلْتُ أضعُ المنديل على فمي متظاهرًا بالألم … ثم عدت إلى منزل «كمال» بعد العشاء فوجدته مبتهجًا جدًّا، وأعطاني مائةَ جنيهٍ؛ مكافأةً لي على القيام بدوره!

المفتش: ألم يقل لك لماذا يريدك أن تقومَ بهذا الدور؟

نوفل: لا مطلقًا ... وفي كل مرَّةٍ كان يطلبني للقيام بدوره كان يعطيني مكافأةً طيِّبةً، ولا يقول لي عن السبب.

المفتش: في الليلة التي ذهبت فيها لتناول العشاء على أنك «كمال رياض» ... قام هو بالسَّطْوِ على فيلَّا الشيخ «المختار» وسرق مجموعةً نادرةً من اللآلئ ...

شحب وجه «نوفل» أكثر، وقال: ولكن الجرائد لم تنشر شيئًا عن السرقة ...

المفتش: هذا صحيح ... فقد طلب منا الشيخ «المختار» ألا يُنشرَ شيءٌ عنها حتى لا يتعرَّض اسمُه لكلام الناس ...

نوفل: إنني بريء يا سيدي المفتش ...

المفتش: سيقول القضاء إذا كنتَ بريئًا أم لا ... ولا تنسَ سوابقَك الكثيرة ...

في هذه اللحظة سمعوا مفتاحًا يدور في قُفْلِ الباب ... ثم ظهر «كمال رياض»، ولم يستطع «تختخ» أن يمنع شهقةً قويةً خرجت من فمه ... فلأول مرَّة في حياته يرى شخصًا كأنه شخصان ... وشخصَين كأنهما شخصٌ واحد ... كانا متشابهَيْن تمامًا ... إلَّا من بعض التفاصيل البسيطة التي قد تخفَى على العين ...

حاول «كمال رياض» أن يتراجع، ولكن حركة أقدام رجال المفتش ارتفعت خلفه ... ووقف المفتش وقال: ادخل يا «كمال» أنت مقبوض عليك ...

كمال: بأيَّة تهمة؟

المفتش: أولًا، بتهمة سرقة مجوهرات الشيخ «المختار» ... ثانيًا، سنجد لك تُهَمًا أخرى، فلا بد أن الأدوار التي قام بها «نوفل» نيابةً عنك خلفها جرائمُ أخرى سنعرفها ... والآن أين المجوهرات؟ ...

تردَّد «كمال» لحظات، ولكن نظرة المفتش القاسية حرَّكته من مكانه، فدخل إلى إحدى الغرف، ودخل خلفه المفتش، وخرجا بعد لحظات وبين يدَي المفتش لفَّةٌ أدرك «تختخ» أنها لفَّةُ المجوهرات ...

وطلب المفتش من رجاله اقتيادَ الرجلين إلى مبنى المباحث الجنائية، ثم التفت إلى «تختخ» قائلًا: هيَّا بنا لمقابلة الشيخ ...

وسار الاثنان في الظلام ... وكان المفتش يضع يده على كتف «تختخ» ويُحدِّثه قائلًا: إنك ولد لا مثيلَ لك ... وكل ما أتمنَّاه عندما تكبر أن تُصبح ضابطًا في الشرطة ...

ودخلا إلى فيلَّا الشيخ، وكان الشيخ يجلس مع الأصدقاء، فلمَّا شاهد المفتش قال: مرحبًا بك يا سيدي المفتش ... هل هناك أخبار؟

مدَّ المفتش يده بالمجوهرات قائلًا: هذه هي الأخبار ...

الشيخ (مندهشًا): ما هذا؟

المفتش: المجوهرات يا سيدي الشيخ ...

أخذ الشيخ يفتح اللفَّة وهو لا يكاد يصدِّق نفسه ... واتَّجهتْ أنظارُ كلِّ الموجودين إليه، وما كادت اللفة تُفتح حتى تلألأ بريقُ المجوهرات يخطَفُ الأبصار ... والتفت الشيخ إلى المفتش قائلًا: أشكرك ...

قال المفتش: أرجو أن توجِّهَ الشكرَ إلى «توفيق» ... إنه الذي قام بكلِّ شيء ...

أحنى «تختخ» رأسه في خجلٍ، وقالت «لوزة»: ماذا حدث؟ كيف عثرتم على المجوهرات؟ ... هل تُخفي عنَّا شيئًا يا «توفيق»؟

تختخ: أبدًا ... لقد كانت مجرد فكرة قد تُخطئ ... وقد تُصيب ...

المفتش: وقد أصابت تمامًا ...

قال الشيخ: اجلسوا من فضلكم، ودعونا نسمع ما حدث ...

المفتش: سيروي لكم «توفيق»؛ فهو البطل الحقيقي للقصة ...

قال «تختخ»: بدأت أشكُّ في وجود شخصين في العملية، وليس شخصًا واحدًا منذ البداية، ولكن هذا كان يحتاج إلى إثبات ... لقد أكَّدت «محسنة» أنها رأت «كمال رياض» وهو يحمل المجوهرات ... وفي نفس الوقت كان «كمال رياض» يتعشَّى على بعد عشرات الكيلومترات، ولا يمكن أن يوجد شخص في مكانين في وقت واحد ... فلمَّا رأيتُ صورةَ «سمير» الممثل، واسمه الأصلي «نوفل أبو إسماعيل» من أرباب السوابق ... بدأت أفكر مرَّة أخرى في وجود الشخصين، خاصةً عندما علمتُ أنَّ «كمال رياض» كان يسكن في الفيلَّا ... وكان في إمكانه أن يحوزَ مجموعةَ مفاتيحَ لها، فإذا استطاع شخصٌ أن يقومَ بدور «كمال رياض» في حفل العشاء ... فإنَّ «كمال رياض» يمكن أن يقوم بالسرقة دون أن يشكَّ فيه أحد ... وزاد شكِّي عندما علمت من الشيخ «المختار» أنَّ «كمال رياض» لم يتكلم طول ليلة العشاء برغم أنه مشهور بالثرثرة ... معنى ذلك أنَّ الشخص الذي كان معهم على العشاء لم يكن «كمال رياض»، بل كان الممثل «سمير» الذي يُشبهه، ويُمكن أن يقومَ بكل الأدوار ... ولكنه لا يستطيع أن يتحدَّث في نفس الموضوعات التي يتحدث فيها الأصدقاء ... وحتى لا يكشف اختلاف صوته ... وجهله بالموضوعات التي يتحدثون فيها ... فقد تظاهر بآلام أسنانه ووضع المنديل على فمه ... وهكذا قام بدوره خيرَ قيام ...

المفتش: ألم أقل لك إن «محسنة» بريئة ...

تختخ: نعم ... بريئة فعلًا ... ولولاها ما عرفنا كيف نستردُّ المجوهرات ... فلولا أنها استيقظت ورأت «كمال رياض» ... لكُنَّا ما زلنا حتى الآن نتخبَّط في الظلام ...

الشيخ: سوف أقدِّم لها مكافأةً سخية ...

تختخ: إنها تستحقُّها عن جدارة ...

الشيخ: ولكم أيضًا ...

تختخ: إننا لا نأخذ شيئًا مقابل جهودنا ... يكفي أنْ نردَّ لضيفٍ عزيزٍ مثلك — ومن دولة شقيقة — ما سُرِق منه ... إنَّ هذا هو أعظمُ مكافأةٍ لنا.


هنداوي